السعي نحو مجتمع إسلامي

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

مواقع جديرة بالمراجعة:

www.s-alshirazi.com
www.alshirazi.com
www.alshirazi.net
www.annabaa.org
www.m-alshirazi.com

تهميش:
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت ـ لبنان

السعي نحو
مجتمع
إسلامي

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ
الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ
الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ
إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصّرَاطَ المُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضّآلّينَ
صدق الله العلي العظيم

السعي نحو مجتمع إسلامي

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام

الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾ بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[1]. الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾[2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الأمم وما تكتسبه

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ**﴾ (١).

كل أمة رهينة بأعمالها، ولا تُؤخذ أمة بأمة أخرى، نعم على كل أمة أن تعتبر من سائر الأمم وتستفيد من تجاربها..

وهذه الآية الكريمة تبين لأمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدة مهمة في الحياة، وهي أن الأمم مرهونة بأعمالها في تقدمها أو تأخرها، فالمهم عمل كل أمة بنفسها، ولا يمكن ـ عادة ـ لأمة أن تتطور بأعمال الأمم الأخرى أو تتأخر بها، لأن الأمم السابقة قد ذهبت وفنت..

---

(١) سورة البقرة: ١٣٤.

﴿**تِلْكَ**﴾ أي: إبراهيم عليه السلام وأولاده ﴿**أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ**﴾ أي: ذهبت ومضت ﴿**لَها ما كَسَبَتْ**﴾ فإن أعمالها ترتبط بها لا بكم ﴿**وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ**﴾ فإن أعمالكم ترتبط بكم لا بهم[1].

وهكذا تكون كل أمة مسؤولة عن نفسها، إليها يرجع ما عملته وما كسبته من برّ وخير، وعليها يعود ما اقترفته وما جنته من ظلم وشر.

ومن المعلوم: أن الأمة تتشكل من الأفراد، وإذا أردنا الحصول على مجتمع إسلامي صالح وأمة مؤمنة متقدمة، فعلينا بإصلاح الفرد أولاً، فإن الأمم تُقاس بشخصياتها العلمية وكذلك السياسية، وهكذا الاقتصادية والاجتماعية منهم، مضافاً إلى سائر الأفراد، كل بحسبه، فإنهم الذين يعكسون قيمة الأمة بما يعلمونه ويعملونه ويكسبونه، أو ما يجنونه ويقترفونه، ويصبغون بتلك الصبغة ظاهرة الأمة، فتتميز الأمة بذلك العنوان.

وعليه: فإذا كان أفراد أمة يعيشون عيشة هادفة، ويسعون في بناء مستقبلهم ومستقبل أبنائهم، تقدم أولئك الأفراد وتقدمت الأمة بهم، وهذا هو ما يدعو إليه الإسلام ويحثّ عليه، فالإسلام يريد للفرد وللأمة وللمجتمع أن يكون مسلماً صالحاً بتمام معنى الكلمة:

مسلماً لله تعالى، مسلماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مسلماً لأهل بيت

---

(١) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١ ص١٢٧ سورة البقرة.

الرسول عليهم السلام، مسلماً مع نفسه وأسرته، ومجتمعه وأمته، مسلماً في عمله ونشاطه، وأمله وطموحه، ومسلماً في جميع أموره وأحواله، ومسلماً في سيرته وحياته بجميع تفاصيلها. وقد نبغ في هذا المجال أفراد كثيرون فتقدموا وتقدم مجتمعهم وتقدمت أمتهم.

من هو المسلم؟

إذا عرفنا أن قوام المجتمع الإسلامي هو الفرد المسلم، علينا أن نعرف خصوصيات المسلم، وكيف يكون الإنسان مسلماً حقيقياً صالحاً، فيصلح المجتمع بصلاحه ..

إن المسلم معروف وموصوف في الآيات الكريمة وكلمات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام ..

فهو: كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم من سلُم المسلمون من لسانه ويده» [1].

وهو: «أخو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمه ..». [2]

و: «المسلم مرآة لأخيه» [3].

وهو: «.. لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه» كما

---

(١) أعلام الدين: ص٢٦٥ من الأخبار في العظات والأداب.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤١٤ ب٢٩ ح ١٤٤٧١ .

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٨ باب النوادر ح٥٧٩٥.

قال الإمام الرضا عليه السلام [1].

والإسلام الذي يتصف به المسلم هو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «.. الإسلام عريان، ولباسه التقوى، وشعاره الهدى، ودثاره الحياء، وملاكه الورع، وكماله الدين، وثمرته العمل الصالح، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت» [2].

أما المسلمون كجماعة ومجتمع، فصفاتهم وسماتهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«.. إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، هم يد على من سواهم» [3].

وهم: «مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى..» [4].

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم: « ينبغي للمسلمين أن ينصح بعضهم بعضاً، ويرحم بعضهم بعضاً، فإنما هم كمثل العضو من الجسد إذا اشتكى تداعى الجسد بالسهر» [5].

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٦٦ باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح٥.

(٢) بحارالأنوار: ج٧٤ ص١٥٨ ب٧ ح١٣١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٧٥ ب٣١ ح٣٥١٨٥.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٨٩ ب٧٥ ح١٣٥٩٨.

(٥) أعلام الدين: ص٢٧٥ فصل من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» [1].

وكما وصف الإسلام والمسلمين أمير المؤمنين عليه السلام وبين شروطهما حيث قال:

«أفضل المسلمين إسلاماً من كان همّه لأخراه، واعتدل خوفه ورجاه» [2].

وقال عليه السلام: «أحسن الناس ذماماً أحسنهم إسلاماً» [3].

وقال عليه السلام: «قواعد الإسلام سبعة: فأولها العقل وعليه بُني الصبر، والثاني: صون العرض وصدق اللهجة، والثالثة: تلاوة القرآن على جهته، والرابعة: الحب في الله والبغض في الله، والخامسة: حق آل محمد عليهم السلام ومعرفة ولايتهم، والسادسة: حق الإخوان والمحاماة عليهم، والسابعة: مجاورة الناس بالحسنى..» [4].

وقال عليه السلام: «جانبوا الخيانة، فإنها مجانبة الإسلام» [5].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٣٧ باب ١٨ ح٢١٧٠٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٨٣ ق١ ب٢ ف٣ ح١٣٢٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٨٤ ق١ ب٢ ف٤ ح١٣٥٤.

(٤) تحف العقول: ص١٩٦ باب ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في طوال هذه المعاني.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥ ب٣ ضمن ح١٥٩٧٤.

وقال عليه السلام: «من أعان على مسلم فقد برئ من الإسلام»[1].

إلى غيرها مما ورد في صفة المسلم والمسلمين، سلباً وإيجاباً، وجوداً وعدماً.

وهكذا يمكن للفرد المسلم أن يكون صالحاً، ويتم بذلك السعي نحو مجتمع إسلامي راق.

نماذج من القادة الصالحين

نبغت في الأمة الإسلامية شخصيات كبيرة وبرزت قادة صالحون تركوا من الآثار الطيبة التي ظلت تفتخر بها الأجيال بعد مئات السنين، وقد سعوا نحو مجتمع صالح إسلامي، بعد ما تربوا في كنف الإسلام وفي ظل تعاليمه الراقية، في مدرسة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام..

وهؤلاء رجال أبطال وشخصيات فذة، بذلوا أعمارهم، وصرفوا طاقاتهم، من أجل بناء مجتمع إسلامي متقدم، وأمة أسلامية صالحة مزدهرة، وسيبقى ذكرهم على مرّ الدهور والأعصار، ومن جملة أولئك الرجال:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٦ ق٦ ف١ ح١٠٤٠٩.

الشيخ الكليني رحمه الله

الشيخ محمد بن يعقوب المعروف بـ «الشيخ الكليني» رحمه الله صاحب كتاب (أصول الكافي وفروعه) [1] ، وقد صرف على هذا الكتاب القيم

---

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكليني الرازي البغدادي: أبو جعفر، ينتسب إلى بيت طيب الأصل في كلين. خرج منه عدة من أفاضل رجالات الفقه والحديث منهم: خال الشيخ الكليني «علان» الذي كان شيخ الشيعة في وقته بالري ووجههم.

هاجر الشيخ الكليني في سبيل طلب العلم إلى مدن وقرى عدة لجمع أحاديث أهل البيت عليهم السلام حتى استقر أخيراً في بغداد في منطقة درب السلسلة بباب الكوفة وحدث بها، كان مجلسه مثابة أكابر العلماء الراحلين في طلب العلم، وقد انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في وقته، وقد أدرك سفراء المهدي عليه السلام وجمع الحديث من مشرعه ومورده،، انفرد الشيخ الكليني بتأليف كتاب «الكافي» في أيامهم.

قال فيه علماء الرجال كالنجاشي والطوسي وابن شهر آشوب وغيرهم: أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم، ثقة، عارف بالأخبار، جليل القدر، عالم بالأخبار، الشيخ المتفق على ثقته، وأمانته. وقال المحدث النيسابوري في كتاب «منية المرتاد»: ومنهم، ثقة الإسلام، قدوة الأعلام، والبدر التمام، جامع السنن والآثار، في حضور سفراء الامام، عليه أفضل السلام .. محيي طريقة أهل البيت عليهم السلام على رأس المائة الثالثة.

أما علماء العامة فقال فيه ابن الأثير: أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، الإمام على مذهب أهل البيت، عالم في مذهبهم، كبير، فاضل عندهم ←

→

مشهور. وعده الطيبي من مجددي الأمة على رأس تلك المائة. وقال ابن حجر: وكان من فقهاء الشيعة، والمصنفين على مذهبهم، وقال: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، من رؤساء فضلاء الشيعة، في أيام المقتدر.

روى الكليني عن كثير من الرواة والثقاة والمحدثين عن أهل البيت عليهم السلام، منهم: أحمد بن إدريس بن أحمد الأشعري القمي، وأحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الهمداني المعروف بابن عقدة، وأحمد بن عاصم العاصمي الكوفي، وعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير المعروف، ومحمد بن الحسن بن فروخ الصفار صاحب كتاب «بصائر الدرجات»، وغيرهم كثير.

أما تلاميذه والرواة عنه، فيروي عنه فئة كثيرة، منهم: أحمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي رافع الصيمري، وجعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه، وأبو الحسن عبد الكريم بن عبد الله بن نصر البزاز التنيسي، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بابن زينب، وكان خصيصا به يكتب كتابه الكافي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال الصفواني نزيل بغداد، كان تلميذه الخاص به، يكتب كتابه الكافي وأخذ عنه العلم والأدب، وأجازه الكليني، في قراءة الحديث، وأبو محمد هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد بن سعيد الشيباني التلعكبري. وغيرهم.

أما تآليفه، فمنها: تعبير الرؤيا، وكتاب الرجال، والرد على القرامطة، ورسائل الأئمة عليهم السلام، وكتاب ما قيل في الأئمة عليهم السلام من الشعر.

وكتابه القيم: «الكافي» فقد كان هذا الكتاب معروفا بالكليني، وقد يسر الله له تأليف هذا الكتاب الكبير في عشرين سنة، حيث سأله بعض الشيعة من البلدان

←

→

النائية تأليف كتاب الكافي لكونه بحضرة من يفاوضه ويذاكره. فقال: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف، يجمع من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام. ويعتقد بعض العلماء أنه عرض على القائم عليه السلام فاستحسنه، وقال عليه السلام: «كاف لشيعتنا». فكتابه خلاصة آثار الصادقين عليهم السلام وعيبة سننهم القائمة. وقد كان شيوخ أهل عصره يقرؤونه عليه، ويروونه عنه سماعاً وإجازةً، كما قرؤوه على تلميذه أبي الحسين أحمد بن أحمد الكوفي الكاتب، ورواه جماعة من أفاضل رجالات الشيعة عن طائفة من حملته، ومن رواته: النجاشي، والصدوق، وابن قولويه، والمفيد، والمرتضى، والطوسي، وغيرهم. وقد ظل حجة المتفقهين عصوراً طويلة، ولا يزال موصول الإسناد والرواية، مع تغير الزمان، وتبدل الدهور. وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة، على تفضيل هذا الكتاب والأخذ به، والثقة بخبره، والاعتماد على أحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، وأنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان إلى اليوم، وهو عندهم أجمل وأفضل من سائر أصول الأحاديث.

قال الشيخ المفيد: الكافي، وهو من أجل كتب الشيعة، وأكثرها فائدة. وقال الشهيد محمد بن مكي: كتاب الكافي في الحديث الذي لم يعمل الإمامية مثله. وقال الفيض الكاشاني: الكافي أشرفها وأوثقها وأتمها وأجمعها، لاشتماله على الأصول من بينها، وخلوه من الفضول وشينها.

وإن من خصائص الكافي؛ أن مؤلفه كان حياً في زمن سفراء الإمام الحجة عليه السلام، قال الوحيد البهبهاني: ألا ترى أن الكليني رحمه الله مع بذل جهده في مدة
←

الذي هو حصيلة عمره وأصبح يُعرف به، عشرين سنة. ويحوي الكتاب على مجموعة كبيرة من الروايات الشريفة في أصول الدين وفروعه، مروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد كتبه الكليني رحمه الله بعد أن جاب المدن والقرى وتقلب في أرجاء العالم الإسلامي، والتقى برواة الحديث وأخذ منهم، كما التقى أيضاً بالنواب الخاصين للإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف). فكان الكتاب الذي ضم بين دفتيه الكثير من العلوم والمعارف الإسلامية المروية عن أهل البيت عليهم السلام [1].

→

عشرين سنة، ومسافرته إلى البلدان والأقطار، وحرصه في جمع آثار الأئمة عليهم السلام، وقرب عصره إلى الأصول الأربعمائة والكتب المعول عليها، وكثرة ملاقاته، و مصاحبته مع شيوخ الإجازات، والماهرين في معرفة الأحاديث ونهاية شهرته في ترويج المذهب، وتأسيسه. كتب عليه العلماء الأقدمين والمتأخرين شروحاً كثيرة جداً وعنى كثير منهم بتحقيقه وترجمته وتلخيصه.

توفي الكليني سنة (٣٢٩ هـ)، التي سميت بسنة «تناثر النجوم» عن (٧٠ عاماً) في السنة التي توفي فيها علي بن محمد السمري آخر نواب الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) وبموته بدأت الغيبة الكبرى. وصلى عليه محمد بن جعفر الحسني المعروف بأبي قيراط. ودفن في «باب الكوفة» ببغداد. انظر الكنى والألقاب: ج٣ ص١٢٠ الكليني.

(١) وقال بعض الأفاضل: اعلم أن الكتاب الجامع للأحاديث، في جميع فنون العقائد، والأخلاق، والآداب، والفقه، من أوله إلى آخره، مما لم يوجد في كتب أحاديث العامة. وأنى لهم بمثل الكافي في جميع فنون الأحاديث، وقاطبة ←

الشيخ الصدوق رحمه الله

ومن جملة أولئك الرجال الصالحين، الذين صلحوا وأصلحوا المجتمع: الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله، المعروف بـ «الشيخ الصدوق» [1]، صاحب الكتب الكثيرة، وفي طليعتها: كتاب «من

→

أقسام العلوم الإلهية، الخارجة من بيت العصمة ودار الرحمة عليهم السلام. وهو يحتوي على ما لا يحتوي غيره من العلوم حتى أن فيه ما يزيد على ما في الصحاح الست للعامة متوناً وأسانيد.

(١) هو الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق. والده أبو الحسن شيخ القميين في عصره، ومتقدمهم وفقيههم وثقتهم. ولد رحمه الله بدعاء القائم عليه السلام بقم، سنة ٣٠٥ هـ، وترعرع ونشأ بين يدي أبيه نحو عشرين سنة، فقرأ عليه وأخذ عنه، وروى عنه. واشتهر عن مشايخ قم أن الشيخ الصدوق ولد بدعوة الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) بواسطة الشيخ الحسين بن روح (رضي الله عنه).

قال فيه النجاشي: شيخنا وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان. وكان ورد بغداد سنة (٣٥٥هـ) وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن. وجاء في فهرست الشيخ الطوسي: جليل القدر، يكنى أبا جعفر، كان جليلا حافظا للأحاديث، بصيرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف. وفي «روضة المتقين» للمولى محمد تقي المجلسي رحمه الله: وثقه جميع الأصحاب، لما حكموا بصحة أخبار كتابه، بل هو ركن من أركان الدين، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء. وقال المجلسي ←

→

رحمه الله في بحاره: من عظماء القدماء، التابعين لآثار الأئمة النجباء، الذين لايتبعون الآراء والأهواء، ولذا ينزل أكثر أصحابنا كلامه وكلام أبيه منزلة النص المنقول، والخبر المأثور.

تتلمذ رحمه الله عند أساطين العلم، وكبار العلماء، ولا سيما والده المعظم، ويبلغ عدد أساتذته وشيوخه أكثر من مائتين، وتتلمذ عليه الكثير من علماء الطائفة وجهابذتهم، وروى عنه جماعة من فطاحل العلماء، منهم: أخوه الشيخ الحسين بن علي بن موسى بن بابويه القمي، ووالد الشيخ النجاشي الشيخ علي بن أحمد بن العباس، والشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز، والشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، والشيخ الحسين بن عبيد الله الغضائري (رحمهم الله تعالى).

ارتحل الشيخ الصدوق رحمه الله من قم إلى الري، ومنها إلى مدن متعددة، كنيسابور، ومشهد الرضا عليه السلام، وسمرقند، وبلخ، وأسترآباد، وهمدان، وجرجان، وبغداد، والكوفة، ومكة، والمدينة، وكان يجتمع عليه العلماء والفضلاء، للنيل من عذب علومه، وسجية أخلاقه، وسماع أحاديثه.

له مؤلفات كثيرة، تقرب من ثلاثمائة كتاب ذكر عدة منها النجاشي في رجاله، نذكر منها: من لا يحضره الفقيه، وهو أحد الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة، وعلل الشرائع، والخصال، والأمالي، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، وثواب الأعمال، والتوحيد، والمقنع، وغيرها كثير. وله كتاب آخر اسمه: مدينة العلم، وهو يعد خامساً للكتب الأربعة، وكان موجوداً إلى عصر الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد الشيخ البهائي رحمه الله ولكنه فقد ولم يبق له أثر ما عدا المنقولات عنه في أبواب متعددة من كتب الفقه والحديث. توفي الشيخ
←

لايحضره الفقيه» فكان حصيلة عمره أكثر من ثلاثمائة كتاب قدمها خدمة للمجتمع الإسلامي وإصلاحه، وساهمت تلك الكتب القيمة في تقدم الأمة الأسلامية وازدهارها مادياً ومعنوياً، وقد ورد في المأثور ما يشير إلى ذلك حيث روي عن الأئمة عليهم السلام: «لولا القميون لضاع الدين» [1].

وقد ذكر العلماء لهذا الشيخ الجليل كرامات عديدة [2]، من جملة كراماته: أنه ظهر في مرقده الشريف الواقع في رباع مدينة الري ثلمة وانشقاق من طغيان المطر، فلما فتشوها وتتبعوها بقصد إصلاح ذلك الموضع بلغوا إلى سردابة فيها مدفنه الشريف، فلما دخلوها وجدوا جثته الشريفة هناك مسجاة عارية غير بادية العورة، جسيمة وسيمة، على أظفارها أثر الخضاب، وفي أطرافها أشباه الفتائل من أخياط كفنه البالية على وجه التراب، فشاع هذا الخبر في مدينة طهران إلى أن وصل إلى سمع السلطان فتح علي القاجاري[3]، فحضر السلطان هناك بنفسه،

→

الصدوق رحمه الله بالري سنة ٣٨١ هـ وقبره مزار معروف يقصده أرباب الحوائج، بقرب مرقد السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام.

(١) بحار الأنوار: ج٥٧ ص٢١٧ ب٣٦ ح٤٣.

(٢) كالخوانساري في روضات الجنات: ج٦ ص ١٤٠ ترجمة الشيخ الصدوق. والمامقاني في تنقيح المقال: ج٣ ص١٥٤ ترجمة محمد بن علي القمي، وغيرهم.

(٣) هو فتح علي شاه بن حسين قلي خان بن محمد حسين خان ثاني الملوك ←

وأرسل جماعة من أعيان البلدة وعلمائهم إلى داخل تلك السردابة فأخبروه بأجمعهم بهذه الكرامة، إلى أن انتهى الأمر عنده من كثرة من دخل وأخبر إلى مرحلة عين اليقين، فأمر بسد تلك الثلمة وتجديد عمارة تلك البقعة وتزيين الروضة بأحسن التزيين.

ونقل عن أحد المؤمنين أنه قال: خرجت في بعض الأيام السابقة قاصداً زيارة مرقد الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي قدس سره.

→

القاجاريين، تولى الملك رسميا سنة (١٢١٢هـ) بعد مقتل محمد خان، كان مُكرماً للعلماء مفضلاً لهم، وفي أيامه راج سوق الأدب، من آثاره تذهيب أبواب الصحن والقبة المنورة في الحائر وتفضيض الضريح الحسيني وبناء مرقد العباس بن علي عليه السلام في كربلاء المقدسة، وتذهيب قبة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قم، وبناء صحن واسع لها، وبناء صحن مشهد الأمام الرضا عليه السلام وغير ذلك، يصفه بعض المؤرخين بأنه كان على مرحلة سامية في تشييد مباني الشرع، راسخ الاعتقاد في الأذكار والأوراد. وفي عهده وقعت الحرب بين روسيا وإيران، حيث جرت المصادمات مدة طويلة، ولما تمادى الروس في تعديهم على إيران قام العلماء بإعلان الجهاد وعلى رأسهم السيد محمد الطباطبائي نجل صاحب الرياض رحمه الله، الذي لقب بالمجاهد فيما بعد. وأمر فتح علي شاه ولده عباس ميرزا بقيادة الجيوش ولكن انتهت الحرب بفشل إيران وخسرت ايران أراض جديدة لصالح روسيا، ودفعت إيران غرامة حربية باهضة ، توفي فتح علي شاه سنة (١٢٥٠هـ)، للتفصيل انظر أعيان الشيعة: ج٨ ص٣٩١ فتح علي شاه.

فلما حضرت عند مرقده الشريف رأيت عملة مشتغلين بحفر الأرض لتأسيس أساس البناء الجديد عليه لاندراس البناء القديم، فبينما كنت أترحم له وأنظر إليهم؛ إذ ظهر جسده الطيب الطاهر في فجوة من قبره مكشوفاً وجهه إلى صدره، فنظرنا إليه فوجدناه متلئلئاً رطباً طرياً، في لحيته الشريفة أثر الخضاب كأنما دُفن من حين، فعجبنا كل العجب، وأقبل الحاضرون بالسلام والصلاة عليه، وأمر المتصدي لإقامة البناء وهو أحد العلماء والسادات بسد القبر وتأسيس أساس البناء، فتفرقنا معتقدين بعظم شأن الصدوق وجلالة مقامه ومنزلته عند الله تعالى.

الشيخ الطوسي رحمه الله

ومن جملة أولئك الرجال العظماء: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله المعروف بـ«شيخ الطائفة» [1]، صاحب كتابي: «تهذيب الأحكام»

---

(١) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى طوس من مدن خراسان، ولد سنة (٣٨٥هـ)، هاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨ هـ) وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً، وكانت زعامة المذهب الجعفري فيها لشيخ الأمة وعلم الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله فلازمه ملازمة الظل وعكف على الاستفادة منه، ولما انتقلت زعامة الدين إلى تلميذ المفيد السيد المرتضى رحمه الله انحاز الشيخ الطوسي إليه ولازمه، وكان السيد يجري عليه في كل شهر اثنا عشر ديناراً، كما كان يجري على سائر تلامذته كابن البراج ثمانية دنانير، فعني به ـ الطوسي ـ ←

→

المرتضى وبالغ في توجيهه وتلقينه حتى وفاته سنة (٤٣٦هـ) فاستقل الشيخ بالإمامة وظهر على منصة الزعامة وأصبح علما للشيعة ومنارا للشريعة، وكانت داره في الكرخ مأوى الأمة، ومقصد الوفاد، تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتملذة عليه والحضور تحت منبره وقصدوه من كل بلد ومكان، وبلغت عدة تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة، وكذلك كثير من العامة.

هاجر إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام خوفا من الفتن التي تجددت ببغداد، حيث أحرقت كتبه وكرسي كان يجلس عليه للكلام. ونقل عن «حياة القلوب» و«مجالس المؤمنين»: أن بعض المعاندين من المخالفين عرضوا على الحاكم العباسي أن الشيخ سب الصحابة في كتابه «المصباح» في زيارة يوم عاشوراء، فأمر الحاكم بإحضاره مع الكتاب المذكور، ولما حضر استفسر منه الأمر. فأنكر الشيخ، ففتحه بعض كتاب الحاكم وأراه العبارة: «اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني، وابدأ به أولاً ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، اللهم اللعن يزيد بن معاوية خامساً»، فقال الشيخ بديهة: يا أمير ليس المراد ما عرض به المعاندون، بل المراد بأول ظالم: قابيل قاتل هابيل، وهو الذي بدأ بالقتل في بني آدم وسنّه، والمراد بالثاني: عاقر ناقة صالح النبي عليه السلام واسمه قيدار بن سالف. وبالثالث قاتل يحيى بن زكريا. وبالرابع عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام. فلما سمع الحاكم العباسي بيانه رفع شأنه واكرمه وانتقم ممن سعى به.

له مؤلفات كثيرة، منها: تهذيب الأحكام، والاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار، والنهاية، والمفصح في الإمامة، وله تلخيص كتاب الشافي في الإمامة، وكتاب العدة في أصول الفقه، وله كتاب الرجال في من روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

←

الشهير باسم «التهذيب» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» الشهير بـ«الاستبصار» وغيرهما من الكتب الكثيرة والمفيدة، حيث كانت تلك الكتب وفي مقدمتها: (التهذيب) و(الاستبصار)، حصيلة عمره الذي صرفه من أجل تقدم المجتمع الأسلامي وإصلاحه، وازدهار الأمة الأسلامية، وكانت بالفعل كذلك.

الشيخ الأنصاري رحمه الله

ومن جملة أولئك الرجال: الشيخ مرتضى رحمه الله المعروف بـ «الشيخ الأنصاري»[1]، صاحب كتابي: «المكاسب» في الفقه، و«فرائد

→

وعن الائمة الاثنا عشر عليهم السلام ومن تأخر عنهم. وفهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنفين منهم، وكتاب المبسوط في الفقه، والمسائل الرجبية في آي القرآن، والمجالس المشتهر بالأمالي، والغيبة، والمصباح الكبير، والمصباح الصغير، والخلاف، والمبسوط، والتبيان في تفسير القرآن... إلخ. انظر روضات الجنات: ج٦ ص٢١٦ باب ما أوله الميم.

(١) هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري، ينتهي نسبه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه)، ولد بدزفول سنة (١٢١٤هـ) وتوفي سنة (١٢٨١هـ) ودفن في المشهد الغروي. وهو الأستاذ الإمام المؤسس شيخ مشايخ الإمامية، قدم العراق وهو في العشرين من عمره، فورد كربلاء المقدسة وكانت الأستاذية والرياسة العلمية فيها لكل من السيد محمد المجاهد، وشريف العلماء، ←

→

فرغّب الأول إلى والده أن يتركه في كربلاء المقدسة للتحصيل، على إثر مذاكراته وظهور قابليته، فبقي آخذاً عن الأستاذين، ثم خرج إلى الكاظمية المقدسة وعاد إلى وطنه واختلف إلى شريف العلماء. مر بكاشان عند خروجه لزيارة مشهد الرضا عليه السلام ففاز بلقاء أستاذه النراقي قدس سره، مما دعاه للإقامة ثلاث سنين في كاشان، وحكي عن النراقي قوله: لقيت خمسين مجتهداً لم يكن أحد منهم مثل الشيخ مرتضى، ثم ورد النجف الأشرف عام (١٢٤٩هـ) أيام رياسة الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، وكان الشيخ علي كاشف الغطاء آخر استاذ درس عنده، ثم استقل وانفرد بالتدريس، وضع أساس علم الأصول الحديث عند الشيعة الإمامية، إلى أن انتهت إليه رياسة الإمامية العامة بعد وفاة الشيخين، وصار على كتبه ودراستها معول أهل العلم، وكان قدس سره يملي دروسه في الفقه والأصول كل يوم في الجامع الهندي، حيث يغص فضاؤه بما ينيف على الأربعمائة من العلماء والطلاب، وقد تخرج على يديه أكثر الفحول من علماء الإمامية، مثل الميرزا المجدد محمد حسن الشيرازي، والميرزا حبيب الله الرشتي، والسيد حسين الترك، والشرابياني والمامقاني والميرزا أبي القاسم الكلانتري، والميرزا حسين النوري، وغيرهم كثير (رضوان الله عليهم أجمعين).

أما مصنفاته قدس سره فمنها: فرائد الأصول وكتاب المكاسب، وقد علق عليهما الكثير من مشاهير العلماء. وكتاب الطهارة المعروف بطهارة الشيخ، وكتاب الصوم والزكاة والخمس، ورسائله الخمس المشهورة، وكثير غيرها. انظر أعيان الشيعة: ج١٠ ص١١٧ حرف «الميم».

الأصول»[1] المشهور بـ «الرسائل»، وهذان الكتابان من أهم آثاره الشريفة التي خدم بهما الجامعات العلمية والكليات الفقهية والأصولية في العالم الإسلامي، وهما حصيلة عمره الذي استنفده في سبيل الله

---

(١) قال الشيخ الأغا بزرك الطهراني رحمه الله في الذريعة: «المكاسب» للشيخ العلامة الأنصاري الشيخ مرتضى بن المولى محمد أمين الدزفولي النجفي ، المتوفى سنة (١٢٨١هـ) نسخة منه طبعت في حال حياته واشرافه على تصحيحه بنفقة الحاج محمد باقر ، وخرج من الطبع في (ج ١ /١٢٨٠هـ) واشترى المطبوع الشيخ علي كاشف الغطاء، فكان تحت يدي ولديه: الشيخ أحمد والشيخ محمد حسين وكتبا على هوامشه تعليقات بخطهما وامضاء الأول أحمد والثاني محمد الحسين، ودون الشيخ شمس الدين بن نجم الدين الرنجاني تلك الحواشي في مجموعة وسمى تعليقات الشيخ أحمد: «نيل المطالب لتحصيل المكاسب» وتعليقات الشيخ محمد حسين «النظر الثاقب في كتاب المكاسب» وهو من أول المكاسب المحرمة إلى بيع المكيل والموزون. للتفصيل انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢٢ ص ١٥١ بالرقم «٦٤٦١».

و«فرائد الأصول» المشهور بالرسائل، للشيخ المرتضى الأنصاري، وهو مشهور متداول لم يكتب مثله في الأواخر والأوائل. محتو على خمسة رسائل في القطع والظن والبرائة والاستصحاب والتعادل. أسس في هذه المباحث تأسيسا نسخ به الأصول الكربلائية، ونسج على منواله المتأخرون حتى صار الفخر في فهم مراده، وكتب كل شرحا أو حاشية عليه، بقدر ما غمر فيه فكره ودرى. وطبع «ترجمة فرائد الأصول» للسيد محمد صالح بن محمد الموسوي الخلخالي.

للتفصيل انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١٦ ص١٣٢ بالرقم «٢٩٣».

تعالى لإنارة المجتمع الأسلامي، وتقدّم الأمة الأسلامية، ولذلك صار يعرف بهما. وعلى الرغم من المكانة السامية التي وصل إليها في المرجعية العامة، إلا أنه عاش مواسياً الفقراء، حريصاً على مساعدة المعوزين والمساكين من كل ما يصله من الحقوق الشرعية، وكان قدس سره قمة في التقوى والأخلاق والفضائل والكمالات، لا يحب الظهور والمباهاة، باذلاً وسعه في تحصيل الكمالات الروحية. فكان من أبرز صفاته الزهد والورع والتواضع إلى أقصى حد.

وقد نُقل عن الشيخ الأنصاري قدس سره أنه كان يقول: ثلاثة أشياء ينبغي للإنسان وخاصّة رجال الدين الاهتمام بها؛ وذلك بأن يأخذ أولها ولو كان في ابتداء الأمر غير جامع للشرائط، وأن يترك ثانيها ولو كان جامعاً للشرائط، وأن يأخذ بثالثها إذا كان جامعاً للشرائط ويتركه إذا كان فاقداً للشرائط.

أمّا الأوّل: فهو العلم، فإنّه ينبغي للإنسان أن يطلب العلم ويتعلّمه ولو لم يكن في أول الأمر قصده الله تعالى والتقرّب إليه؛ وذلك لأنّ العلم بالأخرة يجرّه إلى الله تعالى.

وأمّا الثاني: فهو القضاء بين الناس، فإنّ القاضي مشكل أمره وإن كان عدلاً فقيهاً، لأنّه كثيراً ما يُجر الإنسان إلى الحكم بخلاف الحقّ من دون علمه واختياره.

وأمّا الثالث: فهو إمامة صلاة الجماعة، فإن كان عادلاً أقدم عليها، وإلاّ تركها.

وبهذا الكلام المتين قد أشار الشيخ الأنصاري قدس سره إلى خطورة منصب القضاء، ولزوم أن يحتاط القاضي في الحكم أشدّ الإحتياط.

حصيلة عمر العظماء

لقد كان ـ كما ذكرنا ـ حصيلة عمر الشيخ الكليني رحمه الله: كتاب «الكافي» بأصوله وفروعه، وكان حصيلة عمر الشيخ الصدوق رحمه الله: كتاب «من لا يحضره الفقيه» وسائر مؤلفاته القيمة، وكان حصيلة عمر الشيخ الطوسي رحمه الله: كتابي «التهذيب» و«الاستبصار» وغيرهما من المؤلفات، وكان حصيلة عمر الشيخ الأنصاري رحمه الله: كتابي «المكاسب» و«فرائد الأصول» المعروف بالرسائل وغيرهما من المصنفات المفيدة، هذا مضافاً إلى دورهم في إصلاح المجتمع الإسلامي وتطويره.

وهكذا كان حصيلة عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، من أمثال: سلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد (رضوان الله عليهم) [1] فقاموا بترسيخ سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله

---

(١) أبو عبد الله سلمان المحمدي، أول الأركان الأربعة، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وحواريه الذي قال فيه: «سلمان منا أهل البيت». أصله من إصبهان. قيل: إن اسمه مابه من ولد أب الملك. وقيل: بهبود، وقيل: روزبه بن خشنوذان. هاجر في طلب العلم والدين وهو صبي. وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث، وعرفه بالصفة والنعت لما هاجر إلى المدينة، سماه رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان بن ←

→

عبد الله، مولى رسول الله ﷺ. ألقابه: سلمان الخير، وسلمان ابن الإسلام، سلمان الفارسي، وسلمان المحمدي وهو أشهرها. شهد مع رسول الله ﷺ الخندق، قالوا: وهي أول غزوة غزاها مع النبي ﷺ وقيل: شهد بدراً وأُحُداً. وهو الذي أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق في معركة الأحزاب، والذي أدى إلى انتصار المسلمين على قريش وأحزابها. وقد ورد المدح والثناء عليه بما لا ينكر، فقد قال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت». وقال ﷺ أيضاً: «أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان». وروي عن عائشة: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ. ولما قبض رسول الله ﷺ لزم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يبايع أبا بكر حتى أكره على البيعة، ووجئت عنقه. قال أمير المؤمنين ﷺ: «إن سلمان أدرك العلم الأول والآخر». وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «إن سلمان الفارسي بحر لا ينزف». وعن الفضل بن شاذان أنه كان يقول: (ما نشأ في الإسلام رجل من كافة الناس أفقه من سلمان الفارسي). ذكره ابن شهر آشوب في «معالم العلماء»: إنه أول من صنف في الإسلام بعد ما جمع أمير المؤمنين عليه السلام كتاب الله عز وجل. تولى حكومة (المدائن) في زمان عمر بأمر علي عليه السلام وتوفي بها سنة (٣٤) من الهجرة على الأصح، وقيل: سنة ٣٣ وقيل ٣٥ وقيل غير ذلك، وعمره إذ ذاك ثلاثمائة وخمسون سنة. وقيل: مائتان وخمسون سنة. وذكر سلمان في المعمرين حيث قيل: إنه أدرك أوصياء عيسى عليه السلام وقرأ الكتابين. للتفصيل انظر (الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم): ج٣ ص١٦ باب السين. و(أعيان الشيعة): ج٧ ص٢٧٩ ترجمة سلمان الفارسي.

←

→

*** وأبو ذر الغفاري**: هو جندب بن جنادة. وقيل اسمه: جندب بن السكن، وقيل: برير بن جنادة، أسلم أبو ذر والنبي ﷺ بمكة وهو رابع أربعة من المسلمين وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين المنذر بن عمرو، وبعد هذه المؤاخاة عاد إلى قومه فأقام معهم حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ما مضت بدر وأحد والخندق، ثم آخى رسول الله ﷺ في المدينة بينه وبين سلمان الفارسي. وكان يعبد الله سبحانه وتعالى قبل المبعث بثلاث سنين، وبايع النبي ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق ولو كان مُراً. قال فيه رسول الله ﷺ: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر..». وقال ﷺ: «أبو ذر يمشي على الأرض في زهد عيسى بن مريم »عليه السلام. وهو أحد الأركان الأربعة. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لم يبق اليوم أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر». وهو الهاتف بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ووصي رسول الله ﷺ واستخلافه إياه، فنفاه القوم عن حرم الله وحرم رسوله ﷺ بعد حملهم إياه من الشام على قتب بلا وطاء، وهو يصيح فيهم: قد خاب القطان يحمل النار، ...فقتلوه فقراً وجوعاً وذلاً وضمراً وصبراً. وهو الذي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً». وكان أبو ذر كثير العبادة والتهجد لله سبحانه وتعالى. وروى الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام فقال: «كان أكثر عبادة أبي ذر التفكر». ولقد نفاه عثمان ومعاوية عدّة مرات من المدينة إلى الشام، ومن الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى الربذة، وتوفي فيها مظلوما. ولذا قال رسول الله ﷺ: «يعيش وحده

←

→

ويموت وحده ويبعث وحده ويدخل الجنة وحده». والربذة قصبة قرب المدينة سنة (٣١هـ) وغسله وكفنه جماعة من المؤمنين منهم مالك الأشتر. للتفصيل انظر أعيان الشيعة: ج٤ ص٢٢٥ ترجمة جندب بن جنادة.

* **أما عمار**، فهو عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان. ولد سنة ٥٧ قبل الهجرة، واستشهد سنة ٣٧ هـ في معركة صفين، صحابي جليل، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الاسلام والجهر به. هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا وأحُدا والخندق وبيعة الرضوان، والجمل وصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام. أجمع أهل التفسير أن قوله تعالى: ﴿إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ﴾ نزل في عمار بن ياسر؛ إذ أنه أعطى المشركين بلسانه ما أرادوا مكرها، فقال قوم: يا رسول الله، إن عمارا كفر؟! فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كلا، إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه»، وجاء عمار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي». فقال النبي: «ما وراءك؟» فقال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح عينيه، ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعمار بن ياسر: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عمار جلدة بين عيني». وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كم ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم عمار بن ياسر». هاجر عمار الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وصلى إلى القبلتين، وشهد بدراً وأحداً وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبلى بلاء حسنا، وهو في كل الوقائع من المقدمين في الجيش، ويوم ثار مسيلمة الكذاب كان عمار من رجال
←

→

ذلك اليوم المعدودين الذي انتصر فيه المسلمون على المرتدين. وفي وقعة صفين روى نصر بن مزاحم: انه لما كانت وقعة صفين ونظر عمار إلى راية عمرو بن العاص قال: والله إن هذه الراية قد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن. وروى ابن جرير في تاريخه: لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الرابعة ما هي أبر ولا أتقى.

ثم مضى وهو يقول: الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل اليوم ألقى الأحبة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه.. ثم قاتل عمار ولم يرجع حتى قُتل، فطعنه أبو الغادية برمح وابن جزء احتز رأسه. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ان امرأ من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمار بن ياسر، ويدخل عليه المصيبة لغير رشيد، رحم الله عمارا يوم أسلم، ورحم الله عمارا يوم قتل، ورحم الله عمارا يوم يبعث حيا، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة الا كان رابعاً، ولا خمسة الا كان خامسا». انظر أعيان الشيعة: ج٨ ص٣٧٢ عمار بن ياسر.

* **أما المقداد:** فهو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود، أبو معبد. توفي سنة (٣٣ هـ) عذب في الاسلام وهاجر إلى الحبشة، قال يوم بدر عندما استشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بشأن الحرب: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ سورة المائدة: ٢٤. ولكن والذي بعثك بالحق، إنا نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون. وقد شهد المقداد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «..فأما الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
←

وسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام التي كانت امتداداً لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله في

→

حتى فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود، لم يزل قائما قابضا على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين عليه السلام ينتظر متى يأمره فيمضي».

وقال عليه السلام: «..إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد..». وقال عليه السلام: «إنما منزلة المقداد بن الأسود في هذه الأمة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء». وقال عليه السلام: «ما بقي أحد بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وقد جال جولة إلا المقداد فإن قلبه كان مثل زبر الحديد».

روي عنه قوله: (والله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت، وكان عبد الرحمن بن عوف جالسا فقال: وما أنت وذاك يا مقداد؟ قال المقداد: اني والله أحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله واني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انتزاعهم سلطانه من أهله؟! قال عبد الرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم. قال المقداد: وأما والله لقد تركت رجلا من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أن لي على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد. فقال عبد الرحمن: ثكلتك أمك، لا يسمعن هذا الناس فاني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة. قال المقداد: إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة. قال فتربد وجه عبد الرحمن ثم قال: لو أعلم أنك إياي تعني لكان لي ولك شأن. قال المقداد: إياي تهدد يا ابن أم عبد الرحمن ثم قام عن عبد الرحمن فانصرف).

انظر: الاختصاص: ص٨ ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام. وأعيان الشيعة: ج١٠ ص١٣٤ المقداد.

المجتمع الإسلامي والأمة الأسلامية، مقابل حصيلة عمر الآخرين في الجانب المقابل من المنافقين وغاصبي حق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته وحق السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وحق ابنيها: الحسن والحسين عليهما السلام من: تهميش سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أهل بيته الطاهرين عليهم السلام وإعادة سيرة الجاهليين من: ظلم وجور وخوف وقتل، وعنف وارهاب، في المجتمع الإسلامي، والأمة الأسلامية، كما نرى آثار تلك الجاهلية قد امتدت إلى بعض المجتمعات الإسلامية حتى يومنا هذا.

فالقادة الصالحون يسعون دائماً لإصلاح المجتمع.

وعلى العكس أعداؤهم، فإنهم يسعون لإفساد المجتمع كما أفسد بنو أمية وبنو العباس ..

ما هو المطلوب منا؟

إن المطلوب منا ـ فرداً فرداً ـ أن نسعى في سبيل إصلاح المجتمع، بجميع ما بوسعنا، وبكل ما في جهدنا، على أن نجعل من مجموع عمرنا حصيلة نافعة وثمرة يانعة نخدم عبرها مجتمعنا الإسلامي وأمتنا الإسلامية، وستبقى هذه الثمرة إن قصدنا القربة لله عزوجل، وسيكون الإنسان بذلك مصداقاً للقول المعروف: «عاش سعيداً ومات حميداً» (١).

ويلزم على الإنسان الذي يريد السعي نحو مجتمع صالح، أن لايقتصر همّه على تأمين احتياجاته الفردية والمادية: من تحسين حياته الشخصية وتوفير الراحة لها فقط، بل يجعل جهده وهمّه ينصب في رفع مستواه العلمي والمعنوي والثقافي والأخلاقي، الداعي إلى خدمة المجتمع الإسلامي، والهادف نفع الأمة الإسلامية، وطبعاً كل بحسب مجاله

---

(١) جاء في باب أحوال سفراء الإمام الحجة عليه السلام، عن عبد الله بن جعفر قال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (قدس الله روحه) في التعزية بأبيه (رضي الله عنه) وفي فصل من الكتاب: « ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾ تسليما لأمره ورضى بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام ». بحارالأنوار: ج٥١ ص٣٤٩ ب١٦ ضمن ح١.

العملي، وظروفه الخاصة به، فالحوزوي والجامعي يقدّم خدمات علمية وثقافية، والتاجر والكاسب ومن أشبه يقدّم خدمات اقتصادية واجتماعية، مثل: تأسيس مؤسسات وهيئات ولجان خيرية تقوم بخدمة المجتمع الإسلامي، ونفع الأمة الإسلامية، من توفير الخير والرفاه لهم، والتقدم والإزدهار. فإن هذا العصر الذي نعيش فيه الآن هو عصر السرعة والتقدم، وعصر النموّ والازدهار المادي، وهو يمضي نحو الأمام بسرعة الضوء و كالبرق الخاطف، وفرصة العمر في هذا العصر فرصة قيّمة وثمينة، لابدّ من اغتنامها واستغلالها، واستثمارها بالكيفية المطلوبة، والاستفادة منها بالشكل الصحيح، وذلك قبل فوات الأوان.

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الفرص تمر مرّ السحاب فانتهزوها إذ امكنت في أبواب الخير وإلاّ عادت ندماً»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: « ماضي يومك فائت، وآتيه متهم، ووقتك مغتنم، فبادر فيه فرصة الإمكان، وإياك أن تثق بالزمان»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: « ..الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود»[3].

وقال عليه السلام أيضاً وهو يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «اعلم يا بني، أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن كان

---

(١) غرر الحكم ودررالكلم: ص٤٧٣ ق٦ ب٦ ف٢ ح١٠٨١١.

(٢) غرر الحكم ودررالكلم: ص٤٧٣ ق٦ ب٦ ف٢ ح١٠٨٠٨.

(٣) غرر الحكم ودررالكلم: ص٤٧٣ ق٦ ب٦ ف٢ ح ١٠٨١٢.

واقفاً»[1]. وفي هذا إشارة إلى أن الدنيا هي دائماً في حالة السير والحركة، سيراً حثيثاً، وبسرعة فائقة كسرعة الضوء والبرق.

وعليه: فإذا تماهل الإنسان في اغتنام فرصة العمر وتكاسل عن العمل وخدمة المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية في مدة الحياة، فسوف لن يشعر إلاّ وقد انقضى عمره، وانتهى أمده، وأتاه الناعي ينعى إليه نفسه، ويأذنه بالارتحال إلى دار الآخرة، التي هي دار الجزاء والحساب، وليست دار الأمل والعمل، وهناك سوف يأسف الإنسان على فواتِ فرصة العمر الثمينة، وانتهاء أمدها الثمين، كما نبهنا على ذلك القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿**وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً**﴾[3].

فإن الله سبحانه وتعالى، حذّر الإنسان وأنذره يوماً يرى فيه جزاء ما قدّمه من عمل، فإن كان قد قدم الطاعة لله تعالى، والخدمة للمجتمع الإسلامي والإمة الأسلامية، فالجنة والغفران، وإن كان قد قصّر ولم يؤدّ طاعة ولا خدمة، بل قدّم عصياناً وضرراً للآخرين فالعذاب والنار ـ

---

(١) نهج البلاغة ، الوصية ٣١ من وصية له للإمام الحسن عليه السلام.

(٢) سورة ق: ١٩.

(٣) سورة النبأ: ٤٠.

والعياذ بالله ـ، وحينئذ يأسف الإنسان في ذلك اليوم، على ما فوّت على نفسه من فرصة العمر في الدنيا، ويندم ندماً شديداً على ذلك، ويتمنى أن لو كان تراباً حتى لا يُعاد ولا يحاسب ليتخلص من عذاب ذلك اليوم ومن النار، ولكن لا يفيده الأسف والندم، كما لا يثمر في حقه التمنّي والترجّي، ويكون مصداقاً من مصاديق الآية الكريمة: ﴿**حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [1].

العوالم التي نمر بها

كل واحد من بني الإنسان منذ بدء وجوده، وإلى أن يضع قدميه في المحشر يوم البعث والنشور، يمرّ بعوالم عديدة طولية، منها ما يلي:

١ ـ عالم الذر.

٢ ـ عالم الأرحام.

٣ ـ عالم الدنيا.

٤ ـ عالم البرزخ.

٥ ـ عالم الآخرة.

وربما تكون هناك عوالم أخرى.

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٩ـ ١٠٠.

١: عالم الذر

أولاً: عالم الذر، ولعله يسمى «عالم الأصلاب» أيضاً، وقد يكون هو أول العوالم الذي يمرّ الإنسان به، وهو فيه على صورة الذر، ويكون مستقراً في صلب أبي البشر آدم عليه السلام وذلك كما قال الله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** [1]، وجاء في تفسير هذه الآية الكريمة قولان:

الأول: ما روي أنه أخرج الله من ظهر آدم عليه السلام ذريته كالذّرّ يوم القيامة فخرجوا مثل الذر، فعرّفهم نفسه وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه فثبتت المعرفة ونسوا الموقف.

الثاني: إن الآية جارية مجرى الكلام العرفي البلاغي على طريقة التمثيل.

ومن المعلوم أن القول الأول لا مانع فيه إطلاقاً، فإن الله قادر على كل شيء ﴿وَ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ أي أخرج من بني آدم ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من (من بني آدم) أي: أخرج من أصلاب الرجال ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم وذراريهم ﴿وَ﴾ بعدما أخرجهم وأكملهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: جعلهم شهداء

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

على أنفسهم، فإن من اعترف بشيء كان شهيداً على نفسه، قائلاً لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ على نحو الاستفهام التقريري، وقد كان ذلك بلسان الأنبياء عليهم السلام، كما في كثير من الآيات، مثل: (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) [1]، والمراد: القول لهم على لسان موسى عليه السلام ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أنت ربنا. وهذا اعتراف بالفطرة، فإن الفطرة أذعنت بذلك، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «كل مولود يولد على الفطرة إلاّ أن أبويه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه». ومن قبيل ذلك ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا**﴾ [2]، و: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [3]، و: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [4]، وأشباه ذلك مما هو كثير في القرآن، وهو نوع من البلاغة، كقول الشاعر:

أيا جبلي نعمان بالله خليا.. وقوله: أيا شجر الخابور ما لك مورقاً ..

وقوله:

(قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب)

---

(١) سورة الإسراء: ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) سورة فصلت: ١١.

(٤) سورة النحل: ٤٠.

فإن الغالب أن يصوغ البليغ الكلام في قالب جذاب لبيان المراد.

﴿شَهِدْنَا﴾ فالغرض من الآية: أن الفطرة تشهد على توحيد الله سبحانه بما أودع فيها من درك الحقيقة وفهم الواقع. وإنما أودعنا في الفطرة هذه الشهادة لـ﴿أن﴾ لا ﴿تَقُولُواْ﴾ أيها البشر ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حين يُعاتب المشرك على شركه، والجاحد على جحوده: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ الأمر وهو التوحيد ﴿ غَافِلِينَ﴾ فقد أودعنا فيكم ما يزيل غفلتكم.

لا يقال: فعل هذا يلزم صحة العقاب حتى بالنسبة إلى من لم تبلغه الدعوة؟

لأنه يقال: هو كذلك، إلاّ أن الله سبحانه بلطفه لا يعذب حتى يُتمّ الحجة الظاهرة، كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[1]، وهذا التفسير للآية الكريمة، إنما هو القول الثاني الذي يأخذ بالظاهر مع غض النظر عن أخبار «عالم الذر» والذي يتصور أنه لا مانع من الجمع بين الأمرين، ودلالة الآية عليهما، فإنه لم يدل دليل على امتناع استعمال اللفظ في أكثر من معنى، بل الذي يظهر في بعض الروايات أن بعض الآيات القرآنية تدل على أكثر من معنيين سواء كان المعنيان من باب المصداق أو لا، كما أن في الآيات السابقة ﴿إِنَّا

(١) سورة الإسراء: ١٥.

عَرَضْنَا..﴾ يمكن الأمران، وكان الظاهر اللفظي البلاغي يؤكد كون الألفاظ مسوقة للمعنى العرفي، لا الخارجي، والله العالم..[1].

هذا وقد جاء في روايات كثيرة ما معناه: إن الله تعالى خلق الإنسان قبل أن يأتي إلى هذه الدنيا في صورة الذر، وفي عالَم يسمى بـ«عالم الذر»، وفي ذلك العالم قد بيّن الله تعالى للإنسان طريق الحق وطريق الضلال، وأودع في فطرته التوحيد والمعرفة، وأخذ منه الميثاق على أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، وضمن الله تعالى له رزقه.

روي عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له، وبالنبوة لكل نبي، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال الله عز وجل لآدم: انظر ما ذا ترى؟ قال: فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته وهم ذر، قد ملئوا السماء. قال آدم عليه السلام: يا رب، ما أكثر ذريتي، ولأمر ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عز وجل: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم.

قال آدم عليه السلام: يا رب، فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟!

فقال الله عز وجل: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم. قال

---

(١) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٩ ص٧٦ سورة الأعراف .

آدم عليه السلام: يا رب، فتأذن لي في الكلام، فأتكلم؟ قال الله عز وجل: تكلّم، فإن روحك من روحي[1]، وطبيعتك من خلاف كينونتي. قال آدم: يا رب، فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبلة واحدة وألوان واحدة وأعمار واحدة وأرزاق سواء، لم يبغ بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد، ولا تباغض، ولا اختلاف في شيء من الأشياء؟!

قال الله عز وجل: يا آدم، بروحي نطقت، وبضعف طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به، وأنا الخالق العالم بعلمي، خالفت بين خلقهم وبمشيئتي يمضي فيهم أمري، وإلى تدبيري وتقديري صائرون، لا تبديل لخلقي، إنما خلقت الجن والإنس ليعبدون، وخلقت الجنة لمن أطاعني وعبدني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم؛ فلذلك خلقت الدنيا والآخرة، والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم، خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل

---

(١) أي من روح خلقتُه.

والجميل والدميم والعالم والجاهل والغني والفقير والمطيع والعاصي والصحيح والسقيم ومن به الزمانة ومن لا عاهة به ؛ فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته، فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء، وفيما أعافيهم وفيما أبتليهم وفيما أعطيهم وفيما أمنعهم، وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبرت، ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدم من ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعال لما أريد لا أُسأل عما أفعل، وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون».[1]

ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه».[2]

---

(١) الكافي: ج٢ ص٨ باب طينة المؤمن والكافر، باب آخر منه ح٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص١٨٧ ب ٤٤ ح٥٢ .

٢: عالم الأرحام

ثانياً: عالم الأرحام، وهو العالم الثاني الذي ينتقل الإنسان إليه ويبدأ بالنطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، وهكذا حتى يكمل الجنين وتنتهي فترة الحمل، فينتهي عالم الرحم، ويتهيأ للخروج والانتقال إلى العالم الثالث وهو عالم الدنيا، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ (١).

وقال عزوجل: ﴿**وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً**﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ (٣).

تأثير العوالم وتأثرها

وفي هذا العالم الثاني، وكذلك العالم الأول يتأثر الإنسان كثيراً بصفات الوالدين وأخلاقهما من باب المقتضي لا العلة التامة، ومن هنا

---

(١) سورة آل عمران: ٦.

(٢) سورة الحج: ٥.

(٣) سورة المؤمنون: ١٢ـ ١٤.

لا يرفع ذلك اختيار الإنسان وحريته.

لذلك يوصي الإسلام الوالدين وخاصة الأم وخلال فترة الحمل برعاية الأحكام الشرعية، والمسائل الأخلاقية، والابتعاد عن كل ما هو خلاف الشرع وخلاف الأخلاق، بل وعن جميع ما يؤدي إلى الاضطراب والقلق، حتى ينشأ الجنين في فترة الحمل سالماً من حيث الروح والجسد، وينتقل إلى عالم الدنيا بجسم سالم وروح سالمة.

وفي الحديث الشريف ما يشير إلى ذلك، قال عليه السلام: «السعيد من سعد في بطن أمه» [1]، لذا فبقدر ما يكون الوالدان متقيدين بالأخلاق والآداب الأسلامية، ومراعيين للأحكام والمسائل الشرعية، يكون الجنين في نسبة كبرى من العافية والهداية، وقدر أكبر من السلامة والسعادة، وكذلك يكون بعد انتهاء فترة الحمل وانتقاله إنساناً سوياً إلى الدنيا.

وقد ورد في زيارة الامام الحسين عليه السلام في الزيارة المعروفة بزيارة وارث[2]: «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام

---

(١) الزهد: ص١٤ باب الأدب والحث على الخير.

(٢) روى محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل». من لايحضره الفقيه: ج٢ ص٥٨٢ باب ثواب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام ←

→

ح٣١٧٧.

لذا فقد وردت له عليه السلام زيارات كثيرة عن الأئمة عليهم السلام منها المطلقة التي يزار بها كل وقت، أو عن قرب وبعد، وقد ذكر المؤلف الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في كتابه القيم: «الدعاء والزيارة»، في باب زيارات الإمام الحسين عليه السلام تسع عشرة زيارة مطلقة واردة عن المعصومين عليهم السلام. روى جماعة عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال عن أبيه عن جده عن صفوان قال: استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولاي الحسين عليه السلام وسألته أن يعرفني ما أعمل عليه فقال: «يا صفوان، صم ثلاثة أيام قبل خروجك، واغتسل في اليوم الثالث ثم اجمع إليك أهلك..» وذكر له كيفية الزيارة وهي المعروفة بزيارة وارث، ولعل سبب اشتهارها بهذا الاسم هو تكرار مناداة الإمام عليه السلام بهذه الكلمة فيقول الزائر: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله». مصباح المتهجد: ص٧١٧ ذو الحجة، دعاء الموقف لعلي بن الحسين عليه السلام.

أما الزيارات المخصوصة، فهي التي يزار بها الإمام عليه السلام في أيام وأوقات مخصوصة، كزيارته عليه السلام في النصف من رجب، وزيارته عليه السلام في النصف من شعبان، وفي عيدي الفطر والأضحى ويوم وليلة عرفة، وأشهر الزيارات المخصوصة زيارة عاشوراء، كما يستحب قراءة زيارة عاشوراء كل حين ففي

←

المطهّرة، لم تُنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تُلبسك من مدلهمات ثيابها».

يعني: إن الامام الحسين عليه السلام كبقية أهل البيت عليهم السلام وهم المعصومون الأربعة عشر، لم يزل نورهم ينتقل من صلب أبيهم آدم عليه السلام عبر الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، أي: المطهرة من دنس الشرك، ومن رذائل الصفات وسوء الأخلاق، فلم تجد في آبائهم وآمهاتهم إلا المؤمنين الموحدين، والطاهرين المطهّرين.

ولا يخفى ما لهذه العوالم من التأثير على الإنسان في صلاحه وإصلاحه للمجتمع.

وصايا وآداب عن الأئمة عليهم السلام

روي في «مكارم الأخلاق» [1] عن أبي سعيد الخدري قال: أوصى

→

ذلك فضل عظيم لا يخفى على الموالين، وهناك زيارته عليه السلام يوم الأربعين، وغيرها. وللتفصيل راجع كتاب: «الدعاء والزيارة».

(١) مكارم الأخلاق، لمؤلفه رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري. وهو ابن أمين الإسلام الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان. واستلهاما من وحي قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، أي: إن الهدف من بعثته صلى الله عليه وآله وسلم هو بيان وتتميم الأخلاق الفاضلة؛ لأن الإسلام دين يعطي للأخلاق أهمية كبيرة، سواء الأخلاق الفردية أو الأخلاق ←

رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «يا علي، إذا أدخلت العروس بيتك فاخلع خفها حين تجلس واغسل رجليها وصب الماء من باب دارك إلى أقصى دارك، فإنك إذا فعلت ذلك أخرج الله من دارك سبعين ألف لون من الفقر، وأدخل فيها سبعين ألف لون من الغنى، وسبعين لونا من البركة، وأنزل عليك سبعين رحمة ترفرف على رأس عروسك حتى تنال بركتها، كل زاوية في بيتك، وتأمن العروس من الجنون والجذام والبرص أن يصيبها ما دامت في تلك الدار، وامنع

→

الاجتماعية. و لهذا فإنه ـ وعلى مدى تأريخ الإسلام ـ قد ألفت كتب كثيرة في مجال الأخلاق، ونظراً للرواية المذكورة آنفاً فإن كثيراً من العلماء الكبار قد جعلوا عناوين كتبهم (مكارم الأخلاق)، منهم: أبو جعفر محمد البرقي، ومير سيد علي الهمداني، وأبو جعفر محمد النيشابوري، وغياث الدين البلخي، والسيد محمد نور بخش، والسيد عبد الله شبر صاحب التفسير المعروف. وأشهر هذه الكتب كتاب الشيخ رضي الدين الطبرسي، وهو يحتوي على اثني عشر باباً، وترجم الكتاب إلى لغات عدة، وحاول بعض المنحرفين تحريف الكتاب من خلال الحذف والإضافة والتغيير بغية تشويه سمعة علماء الشيعة، وقد تنبه لذلك العلماء فقاموا بفضحهم وتنبيه الناس إلى ذلك. وبعد الاطلاع على هذه المؤامرة المشئومة، جمعت بأمر الميرزا الشيرازي الكبير في سنة (١٣١٤هـ) جميع النسخ الخطية والقديمة للكتاب، وقام الحاج الشيخ محمود البروجردي بتطبيق الكتاب مع هذه النسخ، ثم طبع الكتاب بدقة تامة في التصحيح وبشكل جميل.

العروس في أسبوعها من الألبان والخل والكزبرة والتفاح الحامض من هذه الأربعة الأشياء» فقال علي عليه السلام: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولأي شيء أمنعها هذه الأشياء الأربعة؟».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن الرحم تعقم وتبرد من هذه الأربعة الأشياء عن الولد، والحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد». فقال علي عليه السلام: «يا رسول الله، ما بال الخل تمنع منه؟». قال: «إذا حاضت على الخل لم تطهر طهراً أبداً بتمام، والكزبرة تثير الحيض في بطنها وتشد عليها الولادة، والتفاح الحامض يقطع حيضها، فيصير داء عليها» ثم قال: «يا علي، لا تجامع امرأتك في أول الشهر ووسطه وآخره؛ فإن الجنون والجذام والخبل يسرع إليها وإلى ولدها. يا علي، لا تجامع امرأتك بعد الظهر؛ فإنه إن قضي بينكما ولد في ذلك الوقت يكون أحول، والشيطان يفرح بالحول في الإنسان. يا علي، لا تتكلم عند الجماع فإنه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس، ولا ينظرن أحد في فرج امرأته، وليغض بصره عند الجماع؛ فإن النظر إلى الفرج يورث العمى - يعني في الولد - يا علي، لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك؛ فإني أخشى إن قضي بينكما ولد أن يكون مخنثا مؤنثا مخبلا. يا علي، من كان جُنُبا في الفراش مع امرأته فلا يقرأ القرآن، فإني أخشى عليهما أن تنزل نار من السماء فتحرقهما. يا علي، لا تجامع امرأتك إلاّ ومعك خرقة ومع أهلك خرقة، ولا تمسحا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة، فإن ذلك يعقب العداوة بينكما، ثم يؤديكما إلى الفرقة والطلاق.

يا علي، لا تجامع امرأتك من قيام فإن ذلك من فعل الحمير، وإن قضي بينكما ولد كان بوّالا في الفراش، كالحمير البوالة تبول في كل مكان. يا علي، لا تجامع امرأتك في ليلة الفطر فإنه إن قضي بينكما ولد لم يكن ذلك الولد إلاّ كثير الشر.

يا علي، لا تجامع امرأتك في ليلة الأضحى؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون ذا ستة أصابع أو أربعة. يا علي لا تجامع امرأتك تحت شجرة مثمرة؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون جلاداً أو قتالاً أو عريفاً.

يا علي، لا تجامع امرأتك في وجه الشمس وشعاعها إلاّ أن يرخى ستر فيستركما؛ فإنه إن قضي بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت. يا علي، لا تجامع امرأتك بين الأذان والإقامة؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حريصاً على إهراق الدماء.

يا علي، إذا حملت امرأتك فلا تجامعها إلاّ وأنت على وضوء؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون أعمى القلب بخيل اليد. يا علي لا تجامع أهلك في ليلة النصف من شعبان، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون مشوهاً ذا شامة في شعره ووجهه.

يا علي لا تجامع أهلك في آخر الشهر إذا بقي منه يومان؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عشاراً أو عونا للظالم، ويكون هلاك فئام من الناس على يديه. يا علي، لا تجامع أهلك على سقوف البنيان؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون منافقاً مرائياً مبتدعاً.

يا علي، إذا خرجت في سفر فلا تجامع أهلك تلك الليلة، فإنه إن

قضي بينكما ولد ينفق ماله في غير حق، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (١).

يا علي، لا تجامع أهلك إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عوناً لكل ظالم. يا علي، وعليك بالجماع ليلة الإثنين؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسم الله عز وجل له. يا علي، إن جامعت أهلك في ليلة الثلاثاء فقضي بينكما ولد فإنه يرزق الشهادة بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولا يعذبه الله مع المشركين، ويكون طيب النكهة من الفم، رحيم القلب، سخي اليد، طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان. يا علي، وإن جامعت أهلك ليلة الخميس فقضي بينكما ولد يكون حاكماً من الحكام، أو عالماً من العلماء. يا علي، وإن جامعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضي بينكما ولد فإن الشيطان لا يقربه حتى يشيب، ويكون فهماً، ويرزقه الله عز وجل السلامة في الدين والدنيا. يا علي، وإن جامعتها ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فإنه يكون خطيباً قوالاً مفوهاً، وإن جامعتها يوم الجمعة بعد العصر فقضي بينكما ولد، فإنه يكون معروفا مشهوراً عالماً. وإن جامعتها في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، فإنه يرتجى أن يكون لك ولد من الأبدال، إن شاء الله تعالى. يا علي لا تجامع أهلك في أول ساعة

---

(١) سورة الإسراء: ٢٧.

من الليل؛ فإنه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً مؤثراً للدنيا على الآخرة. يا علي، احفظ وصيتي هذه كما حفظتها عن أخي جبريل عليه السلام » [1].

ولا يخفى أن هذه الروايات تكون سبباً لصلاح الفرد حتى في خلقته، لكي يمكنه أن يكون صالحاً مصلحا للمجتمع في كبره.

وروي عن الأئمة عليهم السلام: «إذا قرب الزفاف يستحب أن تأمرها أن تصلي ركعتين استحباباً، وتكون على وضوء إذا أُدخلت عليك، وتصلي أنت أيضاً مثل ذلك، وتحمد الله، وتصلّي على النبي وآله. وتقول: (اللّهُمّ ارْزُقْني إلْفَهَا وَوُدّهَا وَرِضَاهَا، وأرْضِنِي بِهَا، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا بِأحْسَنِ اجْتِمَاع وَأيْسَرِ ائتِلاف، فَإنّكَ تُحِبُ الحَلالَ وَتَكْرَهُ الحرَامَ)، وتقول إذا أردت المباشرة: (اللّهُمَّ ارْزُقْنِي وَلَداً وَاجْعَلْهُ تَقِيّاً ذَكِيّاً، لَيْسَ في خَلْقِهِ زِيَادَةٌ وَلا نُقْصَانٌ، وَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ إلى خَيْرٍ)، وتسمي الله عزوجل عند الجماع». [2]

وروي عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا أردت الولد فقل عند الجماع: اللّهُمَّ ارْزُقْنِي وَلَداً، وَاجْعَلْهُ تَقِيّاً، لَيْسَ في خَلْقِهِ زِيَادَةٌ وَلا نُقْصَانٌ، وَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ إلى خَيْرٍ» [3].

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢٠٩ ب٨ ف٤ في آداب الزفاف والمباشرة وغيرهما.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٢٠٨ ب٨ ف٤ في آداب الزفاف والمباشرة وغيرهما.

(٣) الكافي: ج٦ ص١٠ باب الدعاء في طلب الولد ح١٢.

وقال الامام الصادق عليه السلام: «إذا كان بامرأة أحدكم حبل فأتى عليها أربعة أشهر، فليستقبل بها القبلة وليقرأ آية الكرسي، وليضرب على جنبها، وليقل: اللهم إني قد سمّيتُهُ محمداً. فإنه يجعله غلاماً، فإن وفى بالاسم بارك الله له فيه، وإن رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار، إن شاء أخذه، وإن شاء تركه».[1]

وعن الحسن بن الجهم قال: سمعت الامام الرضا عليه السلام: «قال أبو جعفر ـ الامام الباقر عليه السلام ـ: إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً، ثم تصير علقةً أربعين يوماً، ثم تصير مضغةً أربعين يوماً، فإذا أكمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقولان: يا رب، ما تخلق ذكراً أو أنثى؟ فيؤمران، فيقولان: يا رب، شقياً، أو سعيداً؟ فيؤمران، فيقولان: يا رب، ما أجله؟ وما رزقه؟ وكل شيء من حاله، وعدّد من ذلك أشياء، ويكتبان الميثاق بين عينيه، فإذا أكمل الله له الأجل بعث الله ملكاً فزجر زجرةً فيخرج، وقد نسي الميثاق».

وقال الحسن بن الجهم: فقلت له: أ فيجوز أن يدعو الله عز وجل فيحول الأنثى ذكراً والذكر أنثى؟!

فقال: «إن الله يفعل ما يشاء».[2]

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿**هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا**

---

(١) الكافي: ج٦ ص١١ باب من كان له حمل.. ح١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٢٦٦ ب٥٨ ح٥٨٣٦.

وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ [1]، قال: هذه الآية والله خاصة في أمير المؤمنين علي عليه السلام كان أكثر دعائه يقول: ﴿**هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا**﴾، يعني: فاطمة عليها السلام ﴿**وَذُرِّيَّاتِنَا**﴾ الحسن والحسين عليهما السلام ﴿**قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله، ما سألت ربي ولداً نضير الوجه، ولا ولداً حسن القامة؛ ولكن سألت ربي ولداً مطيعين لله، خائفين وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه، وهو مطيع لله، قرت به عيني» قال: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾ قال: «نقتدي بمن قبلنا من المتقين، فيقتدي المتقون بنا من بعدنا». وقال: ﴿**أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا**﴾ [2] يعني: علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام. ﴿**وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ۞ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً**﴾ [3].

وعن الحسين بن سعيد قال: كنت أنا وابن غيلان المدائني، دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له ابن غيلان: أصلحك الله، بلغني أنه من كان له حمل فنوى أن يسميه: محمداً وُلد له غلام؟ فقال عليه السلام: «من كان له حمل فنوى أن يسميه علياً وُلد له غلام»، ثم قال: «علي محمد، ومحمد علي، شيئاً واحداً». قال: أصلحك الله، إني خلفت امرأتي وبها حبل، فادع الله أن يجعله غلاماً؟ فأطرق إلى الأرض طويلاً.

---

(١) سورة الفرقان: ٧٤.

(٢) سورة الفرقان: ٧٥.

(٣) سورة الفرقان: ٧٥ـ ٧٦.

ثم رفع رأسه فقال له: «سمّه علياً؛ فإنه أطول لعمره»، فدخلنا مكة فوافانا كتاب من المدائن أنه: قد وُلد له غلام[1].

٣: عالم الدنيا

ثالثاً: عالم الدنيا، وهي من العوالم الطولية التي ينتقل الإنسان إليها، فيبدأ فيها بمرحلة الطفولة، ثم الصباوة، ثم التمييز والبلوغ، ثم الشباب والكهولة، ثم الشيب والشيخوخة، ثم الإشراف على الموت والارتحال من الدنيا إلى العالم الرابع، حيث الانتقال إلى عالم البرزخ، وذلك كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ من نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[2].

وكما قال سبحانه: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[3].

---

(١) الكافي: ج٦ ص١١ باب من كان له حمل .. ح٢.

(٢) سورة الحج: ٥.

(٣) سورة النحل: ٧٨ .

الدنيا مزرعة الآخرة

إن عالم الدنيا بالنسبة إلى العالَمين قبله عالم وسيع جداً، وله تأثير كبير على مستقبل الإنسان وتقرير مصيره في العالَمين بعده، حيث إن هذا العالم (عالم الدنيا) هو عالم السعي والعمل، بخلاف العالمين بعده، إذ أنهما عالما الحساب والجزاء، وهذا العالم هو عالم المرور والعبور، وعالم الزوال والفناء، بخلاف العالمين بعده، حيث إنهما عالما الاستقرار والنزول، وعالما البقاء والخلود..

وقد وصفت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عالم الدنيا بأنه بمثابة جسر وقنطرة يعبر الإنسان عليها للوصول إلى عالمي البرزخ والآخرة، ووصفته أيضاً بأنه مزرعة، وأنّ أعمال الإنسان في عالم الدنيا من خير وشر بمثابة بذر يبثه في أرض المزرعة ويحصد ثمره وحاصله في البرزخ والآخرة، فإن كان زرع خيراً حصد خيراً وسعادة، وإن كان زرع شراً حصد شراً وندامة.

الترابط بين العوالم

هذا ولا يخفى أن هناك نوعَ ترابط بين عالم الدنيا وعالمي البرزخ والآخرة بعده، كما كان بين عالم الدنيا وعالمي الذر والأرحام قبله، فكما أن لعالم الذر وعالم الأرحام ـ من حيث السعادة والشقاء ـ

تأثيراً [1] على الإنسان في عالم الدنيا من حيث سعادته وشقائه، فكذلك لعالم الدنيا من حيث السعادة والشقاء تأثير على الإنسان في عالم البرزخ وعالم الآخرة من حيث سعادته وشقائه أيضاً، وإلى هذا المعنى يشير قول الله سبحانه: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [3].

وقوله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾ [4].

وقوله جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا**

---

(١) هذا التأثير من حيث المقتضي لا العلة التامة، بحيث لا ينافي اختيار الإنسان في اتخاذ الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ سورة الإنسان: ٣. وقال عزوجل: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ سورة البلد: ١٠.

(٢) سورة الإسراء: ٧٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

(٤) سورة طه: ١٢٤ـ ١٢٦.

يَعْلَمُونَ﴾ [1].

العاقل وتعامله مع الدنيا

لذلك ينبغي للإنسان العاقل أن يغتنم عالم الدنيا بالسعي والعمل؛ من أجل سعادته في الدنيا سعادة مستلزمة لسعادة الآخرة أيضاً، علماً بإن سعادة الدنيا المستلزمة لسعادة الآخرة لا تتحقق إلاّ بالسعي والعمل في إطار الشرع الإسلامي؛ وتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، الداعية إلى جعل الهدف من الدنيا الوصول إلى الآخرة، وأن يكون كل شيء وعمل وقول من أجل الآخرة، وأن لاينسى الإنسان الآخرة ويغتر بالدنيا، وأن لا يكون ممن يبيع الآخرة من أجل الدنيا، وأن لا يكون من مصاديق قول الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ [2]. ولا يكون من: ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾ [3].

وأن يهتدي بما قاله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لأختار العاقل الخزف الباقي على الذهب

---

(١) سورة النحل: ٤١.

(٢) سورة البقرة: ٨٦.

(٣) سورة البقرة: ١٦.

الفاني» [1].

وذلك لأن الدنيا وإن كانت من ذهب، فإنها حيث تزول وتفنى لا خير فيها، والآخرة وإن كانت من خزف ـ فرضاً ـ فإنها حيث تبقى وتخلد فالخير فيها، فكيف وحال الدنيا والآخرة بالعكس، أي: إن واقع الدنيا أقل من الخزف، وواقع الآخرة أكبر من الذهب.

الجمع بين الدنيا والآخرة

ثم إنه باستطاعة الإنسان أن يجمع بين الدنيا والآخرة فيفوز بسعادة الدارين؛ وذلك باتباع القرآن الحكيم والعمل بسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فإن اتباع القرآن وأهل البيت عليهم السلام ينتج خير الدنيا وسعادة الآخرة ويثمر الصلاح والفلاح في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة؛ وذلك واضح، لأن القرآن الحكيم هو نور للدنيا والآخرة، وأن أهل البيت عليهم السلام هم مصابيح الهدى في الدنيا والآخرة، أليس القرآن الحكيم يقول: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [2].

ويقول الحق تبارك اسمه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي**

---

(١) شرح أصول الكافي: ج١ ص١٦٩ كتاب العقل والجهل.

(٢) سورة القصص: ٧٧.

الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

وقال عز وجل:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

أليس أهل البيت عليهم السلام يقولون: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» (٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «نعم العون الدنيا على الآخرة». (٤)

وقال عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته

---

(١) سورة الجمعة: ٩ـ ١٠.

(٢) سورة الأعراف: ٣١ـ ٣٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ باب المعايش والمكاسب ح٣٥٦٩.

(٤) الكافي: ج٥ ص٧٢ باب الاستعانة بالدنيا ح٨.

لدنياه».[1]

وعن محمد بن عذافر عن أبيه قال: دفع إليّ أبو عبد الله عليه السلام سبعمائة دينار وقال: «يا عذافر اصرفها في شيء مّا» وقال: «ما أفعل هذا على شره مني؛ ولكني أحببت أن يراني الله تبارك وتعالى متعرضاً لفوائده». قال عذافر: فربحت فيها مائة دينار، فقلت له في الطواف: جعلت فداك، قد رزق الله عز وجل فيها مائة دينار، قال: «أثبتها في رأس مالي».[2]

وقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: والله إنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها. فقال عليه السلام: «تحب أن تصنع بها ما ذا؟». قال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق بها وأحج وأعتمر!! فقال عليه السلام: «ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة».[3]

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني!!

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٦ ب ٢٨ ح٢٢٠٢٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٨ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٥٨١.

(٣) الكافي: ج٥ ص٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح١٠.

فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟! قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متكئ على غلامين أسودين، أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟! أما لأعظنه، فدنوت منه فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام بنهر، وهو يتصاب عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا!! أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟! فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزوجل، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله!! فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني».[1]

وعليه: فإنه يمكن الجمع بين الدنيا والآخرة، وهو ما يختاره الإنسان العاقل في مدة حياته وجميع أيام عمره في عالم الدنيا، وطريق الجمع بينهما هو التثقف بثقافة القرآن الحكيم التي يجسدها في الخارج عملاً

---

(١) الكافي: ج٥ ص٧٣ باب ما يجب من الاقتداء بالائمة عليهم السلام في التعرض للرزق ح١.

ويحققها على أرض الواقع فعلاً، ثقافة رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام العالية، فالإنسان في عالم الدنيا وضمن رحلته الطويلة بين العوالم يستطيع أن يثبت كيفية رشده، ومقدار تعاليه ورقيه في كل مجال من مجالات هذه الحياة القصيرة والزائلة الدنيوية؛ لذا قيل في علم النفس والإجتماع: إنه بالامكان معرفة ثقافة أي مجتمع من خلال أفعاله وسلوكياته، لأن الثقافة ينشأ عنها العمل والسلوك المجسّد لتلك الثقافة خارجاً، والمحقق لها على أرض الواقع.

والاستفادة الصحيحة من الدنيا تكون من مقومات المجتمع الصالح، وينبغي لمن أراد السعي نحو مجتمع صالح أن يعمل لدنياه وآخرته حسب الموازين الشرعية.

نماذج ثقافية

نقل بعض الأصدقاء عن أحد الأشخاص المتجوّلين في بلدان العالم أنه زار إحدى المدن في بلد من البلدان وقال: إن أغلب شوارع تلك المدينة هي من الشوارع الكبيرة والعريضة، وهي شوارع ذات اتجاهين: أحدهما للذهاب والآخر للإياب، ويفصل بينهما فاصل، يتراوح عرضه بين المتر، والمتر ونصف المتر، وقد زُرع على هذا الفاصل عدة أنواع من الزهور الجميلة ذات الألوان الزاهية والأشكال المختلفة والجذابة، وقد رأيت في أحد هذه الشوارع أن الفاصل يحتوي على ثلاثمائة نوع من الزهور المختلفة الألوان، المتعددة الأشكال، ذات العطور الفواحة، ثم أضاف قائلاً: ولشدة حبي للاستطلاع والمعرفة،

قررت أن أتعرف على المسؤولين عن تصميم هكذا شوارع وفكرة زرع هذه الأزهار والورود الجميلة، فسألت عنهم فقيل لي: إن المشرفين على شتل هذه الزهور وزرعها هم مهندسون اخصائيون في علم الأزهار، ومن خريجي جامعات هذه المدينة نفسها!

فعرفت من ذلك: أن ثقافة هذه المدينة عالية جداً، بحيث إنهم يعتنون بتزيين شوارع مدينتهم إلى هذه الدرجة من الإعتناء، ويوظفون لذلك أفراد متخصصين ومهندسين فنيّين من الدرجة العالية، وذوي الشهادات الراقية، وهذا من الجمال الذي دعى إليه الإسلام وحث عليه. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده» (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً شعثاً شعر رأسه، وسخة ثيابه، سيئة حاله!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من الدين المتعة وإظهار النعمة» (٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة» (٣).

ونقل لي صديق آخر زار بعض البلدان الغربية، وقال: لقد كان

---

(١) الكافي: ج٦ ص٤٣٨ باب التجمل وإظهار النعمة ح١.

(٢) الكافي: ج٦ ص٤٣٩ باب التجمل وإظهار النعمة ح٥.

(٣) الكافي: ج٦ ص٤٤٠ باب التجمل وإظهار النعمة ح١٠.

البلد الذي زرته على سعته الكبيرة وكثرة نفوسه، وازدحام وسائل النقل فيه، نظيفاً إلى أبعد الحدود، وجميلاً بمنتهى الجمال، حيث لم يكن في شوارعها ولا على أرصفتها، ولا في أزقتها شيء من القمامة، حتى القليل من الأوساخ أو النفايات، مما جعل البلد نظيفاً وجميلاً، ـ الى أن قال: ـ وإن أحد المدخنين الغرباء على البلد أخرج آخر سيجارة موجودة في العلبة، ثم قذف بالعلبة الفارغة في جانب من الشارع، وعندما وصل إلى مفترق طرق من نفس الشارع، وإذا بشرطي المرور يطلب من الرجل المدخن والغريب التوقف ودفع غرامة ثقيلة عن تلويثه الطريق العام؛ وذلك بقذفه علبة السيجاير الفارغة فيه، وكلما اعتذر المدخّن بأنه غريب ولا يعرف نظام هذا البلد، لم يقبل الشرطي عذره قائلاً: أدفع الغرامة كي يبقى في ذهنك أنه لا يجوز لأحد تلويث الشارع العام بشيء من القمامة ونحوها!!

هذه بعض النماذج من ثقافات العصر الحاضر، والذي يأمر به الاسلام ويؤكدّ عليه، ولكن ـ ومع الأسف الشديد ـ نرى كثيرا من مسلمي هذه الأمة ذات المليار ونصف المليار مسلم[1] تلخصت حياتهم بالكسل والتقاعس عن السعي والعمل، والميل إلى الدعة والراحة، إلى درجة لم تقتصر على الابتعاد عن الثقافة الاسلامية التقدمية الراقية، وترك السعي وراء الوصول إلى الإكتفاء الذاتي في الصناعات المهمة، بل

(١) وحسب الاحصاءات الآخيرة أصبح نفوس المسلمين اكثر من ملياري نسمة.

وأصبحنا نستورد فيها حتى بيض الدجاج ولحمه من الدول الغربية.

نعم، طموحاتنا كبيرة وآمالنا كثيرة، ولكننا لا نسعى إليها، وإنما شغلنا أنفسنا بالنزاعات القومية والعرقية ومجالس الغيبة، وإنتقاد الآخرين، وقذف التهم إليهم والافتراء عليهم، فبدل أن نصبح أمة السعي والعمل، والجد والمثابرة، أصبحنا أمة الكسل والملل والقول فقط، وبذلك ضيعنا دنيانا وآخرتنا.

ومن المعلوم أن من مقومات المجتمع الصالح هو السعي والعمل لا القول والأمل.

عبر وعظات

يقال: إن نادر شاه[1] عند ما كان حاكماً على إيران، أراد أن يحتل

(١) نادر قلي بك الأفشاري، وزير الشاه الإيراني طهماسب، كان قد ولاه طهماسب يوم احتلت ايران من الأفغان وقتلوا ملكها الشاه حسين الصفوي، فاجتمعت الناس على ابن الشاه حسين المعروف بطهماسب. انتصر نادر شاه على الأفغان وأخذ منهم العاصمة (اصفهان) وفرق جمعهم، ثم حارب العثمانيين، ثم بايعه الايرانيون بالسلطة بتدبير منه سنة (١١٣٧هـ)، وقتل الشاه طهماسب، وفتح الهند وبلخ وبخاري وافغانستان وجميع بلاد تركستان وايران.

←

الهند ويضمها إلى حكومته، وبعد المشورة في طريقة فتح الهند وكيفيتها قيل له: إنه يمكن شن الهجوم على الهند من طريقين: أحدهما عبر الطريق البري، وهذا يستغرق مدة طويلة للوصول إلى الهند، وثانيهما:

→

غزا العراق مرتين وحاصر بغداد والبصرة، وكان يضغط على الوالي العثماني في العراق، ثم صالح العثمانيين، واشترط في الصلح بنود أولها: الاعتراف بمذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام، وأن يكون لهم محراب خامس في مكة المكرمة، ولهم إمام في الحرم الشريف، وأن يكون من قبله أمير لطريق الحج من طريق العراق، وهو يتولى اصلاح البرك والآبار من طريق زبيدة. وجمع نادر علماء من الشيعة ومن السنة للمناظرة، وكتب محضر بأن الشيعة فرقة من المسلمين ومذهبهم مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثم أمر الشاه ان تصلى الجمعة في مسجد الكوفة وأن يدعى للسلطان محمود أولا ثم لنادر شاه، فاجتمع نحو خمسة آلاف مصل وصليت الجمعة، وكان الخطيب من أهل كربلاء المقدسة، وأرسل السيد نصر الله الحائري الى مكة المكرمة، وأرسل معه هدايا إلى شريف مكة، وأرسل معه كتابا إلى الشريف يقول فيه: إنه حصل الاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفري. وانه يصلي إمام خامس الصلوات الخمس في جميع الأوقات بلا معارضة. ولما علم بذلك بعض أهل مكة هاجوا ومنعوا منه. وكان من أعمال نادر شاه الإنفاق على تذهيب القبة العلوية سنة (١١٥٥هـ) وبناء وإعمار المنارتين في المشهد المقدس سنة (١١٥٠هـ). توفي نادر شاه سنة (١١٥٦هـ). للتفصيل انظر: أعيان الشيعة: ج١٠ص١٩٩ ترجمة نادر شاه الافشاري.

الطريق البحري، وهذا يستغرق مدة أقصر بكثير من الطريق البري، ولكن بشرط أن تهب الرياح المؤثرة على حركة السفن الشراعية على وفق ما نشتهيه من الاتجاه نحو الهند. فقال «نادر شاه»: إنني غير مستعد أن أجعل مصير أمة وعاقبة دولة موكولاً بيد الرياح!! فاختار الطريق البري تاركاً الطريق البحري وراءه.

وهذه القصة تدل فيما تدل عليه: على واقع حال المسلمين اليوم! وذلك لأننا وأثر تكاسلنا وتقاعسنا وتركنا ثقافة القرآن الحكيم وثقافة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، صرنا السبب لأن تقع إدارة بلادنا وأمتنا إلى مختلف الرياح من الشرق والغرب، وإلى الأعداء والمناوئين، يقتلوننا ويأسروننا، ويسلبوننا أرضننا وخيراتنا، وأموالنا وثرواتنا، ودينا ودنيانا، فلقد أصبحنا بسبب هجرنا تعاليم الاسلام وثقافة القرآن وأهل البيت عليهم السلام مصداقا واضحاً للحديث القدسي الشريف القائل: «إذا عصاني من عرفني سلطت عليه من لا يعرفني».[1]

(١) الكافي: ج ٢ ص٢٧٦ باب الذنوب ح٣٠ .

مثال جميل

نقل العلامة الشيخ جعفر الرشتي[1] رحمه الله هذه القصة فقال: تناول اثنان شيئاً من المخدرات حتى فقدا وعيهما وصارا يهذيان، ثم خرجا يتمشيان في الأزقة على غير هدى من طريقهما، فرأى أحدهما حفرة صغيرة ممتلئة بالماء الراكد، فتصورها ـ بسبب تناوله لهذا السم المسمى المخدرات ـ بحراً كبيراً، فقال لصاحبه متعجباً: ما أكبر هذا البحر وأوسعه؟! ثم خلعا ملابسهما ليعبرا هذا البحر الموهوم، فقفزا وبجهد كبير قفزة واسعة، فسقطا بشدة على الأرض وتشدّخ رأسهما وتهشّمت عظامهما!!

وفي زماننا الحاضر أصبح حال بعض المسلمين كذلك، حيث إنهم تركوا أسباب الرقي والتقدم، فتأخروا وتقهقروا، وإذا فكروا في التقدم تصوروه بحراً كبيراً متلاطم الأمواج لا يمكن الخوض فيه؛ ولذلك بقوا دائماً متأخرين، وأبداً منحطين، يعيشون فقراء معدمين، مع أنهم

---

(١) الشيخ جعفر الرشتي، عميد المدرسة الهندية العلمية المعروفة في كربلاء المقدسة، التي هدمها حزب البعث الظالم لأنها كانت مركزاً للعلماء العاملين، وهو استاذ كثير من العلماء والشخصيات العلمية البارزة، فقد درس نخبة من العلماء الاعلام المعاصرين على يديه دروس النحو والصرف والادب العربي والفصاحة والبلاغة.

يملكون أثرى بقاع الأرض، وهم أذلاء صاغرين مع أن لديهم ما يجعلهم أعزة سادة، وكبراء وقادة [1].

---

(١) فأرض السودان وحدها تسمى غلة الأرض، فقد ذكر أن أراضي السودان لو زرعت باستثمار بعض أموال الكويت لكانت وحدها تكفي لتحقق الاكتفاء الذاتي للبلاد العربية وحتى الإسلامية، ولن تحتاج هذه البلاد إلى استيراد ملايين الأطنان من الحنطة والرز، وأمثال ذلك. لكن هل يسمح الغربيون بهذا؟! طبعاً لا، فهم جعلوا من السودان وسائر بلاد المسلمين بلداناً فقيرة، حتى أصبحت الأراضي بوراً غير صالحة للزراعة إلا بعد استصلاحها.

وقد قال وزير الزراعة السوداني: يمتلك السودان موارد أرضية هائلة؛ حيث إن مساحة السودان الكلية حوالي (٢٥٠,٥ مليون) هكتار، وتبلغ المساحة القابلة للزراعة فيه (٨٤ مليون) هكتار، وتقدر المساحة الفعلية المستغلة في الزراعة (١٩,٣ مليون) هكتار لعام (٢٠٠٠ـ ٢٠٠١ م)، وغير المستغلة (٦٤,٧ مليون) هكتار؛ أي: تقريبا تساوي إجمالي مساحة الوطن العربي المزروعة حاليا (٦٥ مليون) هكتار. هذا فضلا عن امتلاك السودان لنحو (٢٤ مليون) هكتار مراعيَ، و(٦٤ مليون) هكتار غابات يمكن أن تستغل في تجارة الأخشاب وصناعة الورق، ومواد صناعية أخرى عديدة. ويزيد من أهمية أرض السودان توافر المياه اللازمة للزراعة؛ حيث يمتلك السودان مصادر مياه متعددة، ولكنه يواجه مشكلة في كفاءة استخدامها. وتتمثل مصادر المياه في السودان في نهر النيل، وأهم روافده النيل الأبيض والنيل الأزرق وعطبرة. ويبلغ الإيراد السنوي من مياه بحيرة (ناصر) بالنسبة للسودان (١٨,٥ مليار م٣) هذا إلى جانب وجود عدد من الأنهار الموسمية التي تمتلئ بالمياه في موسم الأمطار ←

→

بالسودان، ويبلغ واردها السنوي نحو (٦ مليارات م٣)، وأهم هذه الأنهار نهر (القاش) ونهر (بركة)، وهناك مسطحات مائية بعيدة تقع في حزام الزحف الصحراوي منها وادي الرهد في كردفان. بالإضافة لمصادر المياه الجوفية التي توفر مخزونا يقدر بنحو (٤٠ مليارا) بتغذية سنوية حوالي (٤ مليارات) متر مكعب.

وإذا وضعنا في الحسبان غزارة الأمطار بالسودان خاصة في جنوب السودان التي يصل منسوبها لنحو (٧٠٠ إلى ١٥٠٠سم) مكعب في السنة، لأدركنا مدى ما يمتلكه السودان من موارد مائية ضخمة. وتقدر مساحة الأراضي في السودان المزروعة بنظام الري المطري بـ (١٧.٤ مليون) هكتار مقارنة بـ (١.٩ مليون) هكتار بنظام الزراعة المروية. ويضاف لكل هذا وجود تنوع مناخي بالسودان، وهذا معناه: أن هناك مواسم مختلفة لزراعة الخضر والفاكهة.

ولأن الثروة الزراعية والحيوانية يكملان بعضهما البعض، فإن السودان يمتلك ـ أيضا ـ ثروة حيوانية ضخمة جعلته يحتل المركز السادس عالميًا، والأول عربيًا من حيث العدد التي تصل لنحو (١٢٨ مليون) رأس وفقًا لإحصائيات عام (٢٠٠٠ م) إلى (٣٧ مليون) رأس من الأبقار و(٣٨ مليون) رأس من الماعز و(٤٦ مليون) رأس من الأغنام و(٣ ملايين) رأس من الإبل و(٤ ملايين) رأس من الفصيلة الخيلية.

وهذه الموارد الضخمة التي يتمتع بها السودان ترجح أن يصبح سلة للغذاء العربي، بل يحقق فائضًا من اللحوم والمواد الغذائية الزراعية للدول الأخرى غير العربية، إذا استغلت موارده استغلالاً جيدًا، ـ فكما يقول وزير الزراعة السوداني ـ لا يستغل السودان سوى (١٥٪) فقط من أرضه الصالحة للزراعة،

←

→

يحقق منها الاكتفاء الذاتي من الحبوب، وبه فائض للتصدير. حيث ينتج نحو (٦ ملايين) طن من الحبوب (٧٥٪) منها من الذرة، والباقي من القمح، ولديه فائض للتصدير يقدر بنحو مليون طن من الذرة، كما ينتج السمسم والفول السوداني وبذرة القطن وعباد الشمس، ويصنع محليًا ما يكفي حاجة السكان من الزيوت والباقي يصدر كمواد خام. وهذا غير تصدير الصمغ العربي (٨٥٪ من احتياجات العالم منه يستوردها من السودان) وإنتاج نحو (٦٠٠ ألف) طن من السكر يستهلك (٥٠٠ ألف) طن ويصدر نحو (١٠٠ ألف) طن.

المصدر: مجلة الزراعة التي تصدرها وزارة الزراعة المصرية، ومركز المعلومات بالسودان. ومكتبة الكونجرس الأمريكية.

❖ ولا يخفى، أن الدول الإسلامية تمتلك ثروات استراتيجية كبيرة، أهمها النفط والغاز، والثروات المعدنية الأخرى مثل: الحديد والنحاس والفوسفات والكبريت وغيرها، أضافة إلى الأرض الواسعة الصالحة للزراعة، فتختزن الدول الاسلامية ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط، و(٢٢.٥٪) من الاحتياط العالمي للغاز، وتنتج (٩٪) من إنتاج العالم من الحديد، ويشكل النفط العربي وحده (٦٥٪) من احتياجات أوروبا و(٨٠٪) من احتياجات اليابان و(١٥٪) من احتياجات الولايات المتحدة .

❖ ويتمتع العالم الإسلامي بموقع استراتيجي هام بالنسبة للتجارة العالمية، وبمزايا استراتيجية يصعب على القوة المعادية فرض سيطرتها عليه بالكامل مما يجعل لديه عمقاً استراتيجياً مهماً في أية استراتيجية إسلامية ودولية.

كما يوجد في جمهورية تركمانستان اكبر منجم للذهب في العالم، وينتج ما يزيد على (٥٠ طنا) من الذهب في العام الواحد، وفي طاكجستان الواقعة
←

→

شمال شرق افغانستان يوجد اكبر منجم للفضة في العالم، وفي باطن ارض قازاخستان توجد احتياطات نفطية تساوي ربع مخزون العالم من النفط. والمعلومات تدل ايضا علي وجود اليورانيوم في طاجكستان وقرقيزستان، أما إيران فتملك أحتياطي نفطي يبلغ (٩٠ بليون) برميل، أي بنسبة (١٠٪) من جملة الاحتياطات النفطية العالمية، وتحتل إيران المركز الثالث في احتياطي النفط.

❖ كما أن احتياطي دول الخليج وحدها يبلغ ما يزيد على (٦٦٠ مليار) برميل نفط، وتبلغ نسبته (٦٥,٣٪) إلى احتياطي دول العالم. ويبلغ احتياطي السعودية ـ فقط ـ (٢٦١ مليار) برميل. وتحتل المرتبة الاولى في انتاج البترول واحتياطه، والخامسة في احتياط الغاز الطبيعي، والعاشرة في انتاج الغاز الطبيعي. ولديها احتياطي من الغاز الطبيعي يبلغ (٥٢٥٠ مليار) متر مكعب. علما أن (٨٩٦,٥ مليار) برميل نفط هو احتياطي العالم.

❖ أما الكويت فتمتلك (١٠٪) من احتياط النفط العالمي، ويعتبر حقل برقان جنوب الكويت من أكبر حقول النفط في العالم. وقد زاد الإحتياطي النفطي والغازي الكويتيين بعد إكتشاف كميات ضخمة جدا من النفط والغاز مؤخرا، حيث ارتفع إحتياطي النفط الكويتي إلى (١١٤,٥ مليار) برميل أي ما يعادل (١١٪) من الإحتياطي العالمي، بالإضافة إلى (٣٥ ترليون) قدم مكعب من الغاز الطبيعي الحر. والجدير بالذكر أن هذه النوعية من الغاز هي الأفضل في العالم وتفوق بالجودة نوعية الغاز القطري المحدود الإستعمالات، حيث تقتصر إستخدامات الغاز القطري على الطبخ والتدفئة.

❖ أما العراق، فيبلغ الاحتياطي النفطي المؤكد فيه (١١٢ مليار) برميل وهو
←

→

يضع العراق في المرتبة الثانية عالميا بعد السعودية. وذكر ـ حديثاً ـ أنه تم اكتشاف منطقة نفطية جديدة بالصحراء الغربية لتضاف إلى مناطق العراق المنتجة للنفط. كما تم اكتشاف حقل للغاز الطبيعي في منطقة عكاشات في الصحراء الغربية ـ أيضاً ـ وهناك دلائل تشير إلى وجود حقول نفطية أخرى في هذه المنطقة المهمة التي تمثل نصف مساحة العراق. وفي غضون السنوات القريبة سيتم زيادة احتياطيه النفطي إلى (٢٧٠ مليار) برميل ليحتل المركز الأول في العالم. وإن تحويل الاحتياطي المحتمل إلى احتياطي مؤكد يتطلب زيادة الجهد الاستكشافي للقطاع النفطي في العراق. ويقول أحد المتخصصين في الشؤون العراقية في مؤسسة «بتروليوم فاينانس»: إن النفط العراقي هو كنز القرن الحادي والعشرين. وهو لا يعني بطبيعة الحال ما ينتجه العراق حالياً من النفط الخام، وقد أصبح دون (٤٪) من مبيعات السوق العالمية، إنّما يعني الاحتياطي النفطي العراقي الذي يحتل المرتبة الثانية بعد السعودية، ويمثل زهاء (١٢٪) من الاحتياطي العالمي المعروف، ومن المتوقع أن الاحتياطي الموجود حالياً في مناطق أخرى غير منطقة الخليج آخذ في النضوب تدريجياً، خاصة النفط الأمريكي والأوروبي. وإن البئر العراقية تعطي من النفط الخام يومياً أكثر من (١٣ ألف) برميل في غالب الحالات، أي ما يعادل ما تعطيه (٩٠٠ بئر) أمريكية، وأضعاف ما تعطيه الآبار السعودية والكويتية والإيرانية بنسب كبيرة .هذا وقد بلغت عائدات النفط العربي، مايلي: « (١٦٠ بليون) دولار عائدات الدول العربية من النفط عام (١٩٨٠م). و(١٥٠ بليون) دولار عائدات الدول العربية من النفط في كل من عامي (٩٦ـ ٩٧). و(٦٩.٥ بليون) دولار عائدات الدول العربية من النفط عام (١٩٩٨). و(٩٠ بليون) دولار عائدات الدول

←

ونرى ـ في عصرنا الحاضر ـ بعض أهل الكتاب من المسيحيين وغيرهم يقرّون للمسلمين فضلهم ويعترفون بأنهم آباء الحضارة وروّاد العلم، وأن لهم حق الحياة الراقية على جميع الأمم المتقدمة والمترقية، بينما المسلمون أنفسهم تراهم قد لجئوا إلى النوم والكسل وتجاهلوا ماضيهم المشرق، واشتغلوا بتضعيف أنفسهم وتشتيت أمرهم من خلال المهاترات والمخاصمات الجانبية، كما في أغلب البلاد الإسلامية، وراح يتهم بعضهم بعضاً بأبشع التهم التي يعجز اللسان من ذكرها، والبيان عن وصفها، وذلك بدلاً من استغلالهم الفرص المتاحة لهم واغتنامهم العمر والفرص التي وهبها الله إياهم.

هذا هو حال أغلب المسلمين اليوم، وهو على عكس حال الشرق والغرب، حيث إن غير المسلمين أخذوا تعاليم الاسلام وثقافة القرآن، وقاموا بتنظيم أوقاتهم وتنسيق أعمالهم من أجل التقدم والإزدهار،

→

العربية من النفط لعام (١٩٩٩). و(٢٨ بليون) دولار عائدات السعودية من النفط عام (١٩٩٨). و(٤٠ بليون) دولار عائدات السعودية من النفط عام (١٩٩٩). و(٩,١ بليون) دولار عائدات الإمارات العربية من النفط عام (١٩٩٨). و(١٣,٣ بليون) دولار عائدات الكويت من النفط عام (١٩٩٨). فتأمل كيف تصرف هذه الأموال في أهواء السلاطين وخططهم الاستعمارية، وفي ما لا يرضي الله ولا يخدم الشعب، فإن معظم الشعوب في هذه البلاد الغنية يعيشون تحت معدل الفقر ليس لهم خبز يأكلونه ولا سقف يستظلون به.

وتجنيد طاقاتهم وتحشيد قدراتهم في سبيل الاختراع والاكتشاف، والتقدم الزراعي والصناعي، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في كل جانب من جوانب الحياة.

نعم، إن المسلمين اليوم أضاعوا أوقاتهم في الفراغ والكسل في مجالس الافتراء والغيبة، وفي النزاعات الجانبية، والمخاصمات الهامشية، وفي السب والشتم بعضهم لبعض. هذا وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يعظ أصحابه ومحبيه: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين»[1]. وقال الامام الصادق عليه السلام وهو يوصي محبّيه ومواليه: «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً»[2].

(١) نهج البلاغة: الخطب ٢٠٦ من كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون ...

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٤ ب١١٩ ضمن ح ١٦٠٦٣ .

٤: عالم البرزخ

رابعاً: عالم البرزخ، وهو رابع العوالم الطولية، الذي ينتقل الإنسان إليه، ويبدأ بالموت ومفارقة الروح للجسد، ويستمر إلى ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى حتى ينفخ في الصور وتقوم الساعة والقيامة، فينتقل الإنسان من عالم البرزخ إلى عالم الآخرة، وذلك كما قال تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** (١).

وقال جل وعلا: **﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾** (٢).

وقال سبحانه: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (٣).

وقال تبارك اسمه: **﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٩ـ ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٩ـ ١٧٠ .

فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [1].

وكما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب». [2]

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإما إلى الجنة، وإما إلى النار ـ ثم قال ـ إن نجوت يا ابن آدم عند الموت فأنت أنت، وإلاّ هلكت، وإن نجوت يا ابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت، وإلاّ هلكت، وإن نجوت حين يحمل الناس على الصراط، فأنت أنت، وإلاّ هلكت، وإن نجوت حين: ﴿**يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[3] فأنت أنت وإلاّ هلكت، ـ ثم تلا: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [4] قال ـ هو القبر، وإن لهم فيه لـ﴿**مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ [5] والله، إن القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»، ثم أقبل على رجل من جلسائه فقال له: «لقد

---

(١) سورة غافر: ١١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢١ ب١٣٢ ح١٠٤٢١.

(٣) سورة المطففين: ٦.

(٤) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٥) سورة طه: ١٢٤.

علم ساكن السماء ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين أنت، وأي الدارين دارك؟»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا وضع الميت في قبره مُثّل له شخص. فقال له: يا هذا كنا ثلاثةً: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك، وكنتُ عملَك فبقيتُ معك، أما إني كنت أهون الثلاثة عليك»[2].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته، وزكاته، وحجه، وصيامه، وولايته إيانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامه»[3].

وقال عليه السلام أيضاً: «والله ما أخاف عليكم إلاّ البرزخ»[4].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «يقال للمؤمن في قبره: من ربك؟ ـ قال ـ فيقول: الله. فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان. فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هداني الله له وثبتني عليه. فيقال له:

---

(١) الخصال: ج١ ص١١٩ باب الثلاثة ح ١٠٨.

(٢) الكافي: ج٣ ص٢٤٠ باب المسألة في القبر ومن يسأل ح١٤.

(٣) الكافي: ج٣ ص٢٤١ باب المسألة في القبر ومن يسأل ح١٥.

(٤) بحارالأنوار: ج٦ ص٢١٤ ب٨ ضمن ح٢.

نم نومةً لا حلم فيها، نومة العروس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل عليه من روحها وريحانها، فيقول: يا رب، عجل قيام الساعة، لعلي أرجع إلى أهلي ومالي. ويقال للكافر: من ربك؟ فيقول: الله. فيقال: من نبيك؟ فيقول: محمد. فيقال: ما دينك؟ فيقول: الإسلام. فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون فقلته!! فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليها الثقلان الإنس والجن لم يطيقوها. ـ قال ـ فيذوب كما يذوب الرصاص، ثم يعيدان فيه الروح، فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يا رب، أخِّر قيام الساعة»[1].

البرزخ وأول مراحله

يبدأ عالم البرزخ بالموت، حيث ينتقل الإنسان على اثره إلى القبر، وفي القبر تكون المُسائلة، ويكون الحساب والجزاء البرزخي، ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»[2]، أي البرزخية، وقال ﷺ: «والله، إن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»[3].

نعم، ما هي إلاّ أيام نقضيها في هذه الدنيا الدنيئة والزائلة، حتى

---

(١) الكافي: ج٣ ص٢٣٨ باب المسألة في القبر ومن يسأل ح١١.

(٢) بحارالأنوار: ج٥٨ ص٧ ضمن ب٤٢ حقيقة النفس والروح وأحوالهما.

(٣) بحارالأنوار: ج٦ ص٢١٥ ضمن ب٨ أحوال البرزخ والقبر وسؤاله.

نعيش الحياة البرزخية الواسعة والطويلة بالنسبة إلى عالم الدنيا، وذلك إمّا في روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ـ والعياذ بالله ـ لذا يجب علينا الاهتمام بإصلاح أنفسنا وإصلاح المجتمع والسعي نحو تحقق المجتمع الإسلامي السعيد، وذلك بالوعي واليقظة، وترك حالة الركود والكسل، والتحلي بالنشاط و السعي والعمل وبكل جدّ واخلاص، من أجل أن نطوي عالم الدنيا بسلامة وسعادة، مشحوناً بالخير والبركة في ظل مجتمع اسلامي إنساني، وأمة اسلامية متقدمة ومزدهرة، مستتبعاً سلامة عالم البرزخ والآخرة وسعادتهما، ولا يكون ذلك إلاّ بالسعي لتحقيق ثقافة القرآن الحكيم وثقافة أهل البيت عليهم السلام التي هي عصارة الأهداف السماوية التي جاء من أجلها الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) وبلّغ لها جميع الأوصياء والأولياء.

مخاوف عالم البرزخ

إن عالم البرزخ، كما سبق: هو عالم الحساب والجزاء البرزخي، وليس عالم السعي والعمل كما كان في عالم الدنيا؛ لذلك ينقطع الإنسان بالموت والانتقال إلى عالم البرزخ من السعي والعمل، إلاّ القليل مما يصله من الخيرات والمبرات، والتي إن كان قد فعلها في حياته لكانت أكثر ثواباً وبركة عليه.

فلا تبقى للإنسان في برزخه إلا ما اكتسبه في دنياه و نتائج عمله، فإن كان قد عمل خيراً رأى خيراً، وإن كان قد عمل شراً رأى شراً،

كما في الحديث الشريف: «إن خيراً فخير وإن شراً فشر»[1].

ومن هنا ينبغي أن يخاف من القبر ومن البرزخ، ومن مصير الإنسان المجهول آنذاك..

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «والله، ما أخاف عليكم الاّ البرزخ، فأما إذا صار الأمر الينا فنحن أولى بكم»[1].

هل في عالم البرزخ تكامل؟

ثم إن عالم البرزخ مضافاً إلى كونه عالم حساب وجزاء برزخي، وعالم انقطاع عن السعي والعمل الدنيوي، لكنه بحسب بعض الروايات الشريفة، فيه بعض التكامل البرزخي والصعود إلى الدرجات الإنسانية العالية المجردة عن مهاوي السقوط الدنيوي ودركات الهبوط الحيواني، ففي الحديث الشريف ما يدل على أن الأطفال والقصّر الذين يرحلون عن عالم الدنيا وينتقلون إلى عالم البرزخ وهم بعدُ لم يكملوا إنسانياً، ولم يبلغوا سنّ التكليف شرعياً، يتكاملون هناك، فإن أطفال الشيعة وقصّرهم يتربّون على يد بعض الأولياء كالخليل إبراهيم عليه السلام حتى يكبروا ويبلغوا سن الرشد ويكملوا، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى كفل إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين، يغذوانهم بشجرة في الجنة، لها أخلاف كأخلاف البقر، في قصر من درة، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيبوا وأهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم، وهو قول الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ**

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٩٤ باب الرياء ح٥.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [1] » [2].

وقال الامام الصادق عليه السلام أيضاً: «إذا مات طفل من أطفال المؤمنين، نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض: ألا إن فلان بن فلان قد مات، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين، دفع إليه يغذوه، وإلاّ دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه، حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته، فتدفعه إليه» [3].

أما حال من يموت من أطفال المشركين والكفار، فقد روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة احتج على الله سبعة: على الطفل، والذي مات بين النبيين، والشيخ الكبير الذي أدرك النبي صلى الله عليه وآله وهو لا يعقل، والأبله، والمجنون الذي لا يعقل، والأصم، والأبكم، كل واحد منهم يحتج على الله عز وجل، قال: فيبعث الله عز وجل إليهم رسولاً فيؤجج لهم ناراً فيقول: إن ربكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصى سيق إلى

---

(١) سورة الطور: ٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٩٠ باب حال من يموت من أطفال المؤمنين ح٤٧٣٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٩٠ باب حال من يموت من أطفال المؤمنين ح٤٧٣١.

النار» [1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تؤجج لهم نار، فيقال لهم: ادخلوها، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً، وإن أبوا قال الله عز وجل لهم: هو ذا أنا قد أمرتكم فعصيتوني، فيأمر الله عز وجل بهم إلى النار» [2].

وورد في الأحاديث الشريفة ـ أيضاً ـ ما يدل على أن بعض الأعمال في عالم الدنيا تبقى آثارها وبركاتها مستمرة في عالم البرزخ ويكمل الإنسان بها في البرزخ، كالمشاريع الخيرية، والأولاد الصالحين، والعلوم التي تنفع الناس، فإنها تكون ذخيرة له في عالم البرزخ ويجدها أمامه ويتكامل بها، فإنه رغم انقطاعه عن عالم الدنيا وعن السعي والعمل، يصله أثر ذلك الأمر، وينتفع به، ويكون سبباً لتكامله ورقي درجاته في عالم البرزخ. وذلك كما روي: «أن من مات بلا خلف فكأن لم يكن في الناس، ومن مات وله خلف فكأن لم يمت» [3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٩٢ باب حال من يموت من أطفال المشركين والكفار ح٤٧٤٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٩٢ باب حال من يموت من أطفال المشركين والكفار ح٤٧٤١.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٣ ص٤٨١ باب فضل الأولاد ح٤٦٩١.

وقال رسول الله ﷺ: «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: مرّ عيسى ابن مريم عليه السلام بقبر يُعذّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو لا يُعذّب!! فقال: يا رب، مررت بهذا القبر عام أول فكان يُعذّب، ومررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب؟! فأوحى الله إليه: أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فلهذا غفرت له بما فعل ابنه. ثم قال رسول الله ﷺ: ميراث الله عزوجل من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده..»[2].

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يلحق الرجل بعد موته؟ فقال: «سُنّة سنّها يعمل بها بعد موته، فيكون له مثل أجر من يعمل بها، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء، والصدقة الجارية تجري من بعده، والولد الطيب يدعو لوالديه بعد موتهما، ويحجّ ويتصدق ويعتق عنهما، ويصلي ويصوم عنهما» فقلت: أشركهما في حجتي؟ قال: «نعم»[3].

---

(١) منية المريد: ص١٠٣ فصل فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل العلم.

(٢) الكافي: ج٦ ص٣ باب فضل الولد ح١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢ ص٤٤٤ ب٢٨ ح٢٦٠٣.

وعنه عليه السلام قال: «ستة تلحق المؤمن بعد وفاته: ولد يستغفر له، ومصحف يخلفه، وغرس يغرسه، وقليب يحفره، وصدقة يجريها، وسُنّة يؤخذ بها من بعده»[1].

ولا يخفى أن هذه الأمور من مقومات المجتمع الإسلامي الصالح.

٥: عالم الآخرة

خامساً: عالم الآخرة، وهو خامس العوالم الطولية ونهاية مطاف الإنسان ومنتهى رحلته الطويلة، وآخر ما ينتقل الإنسان إليه ليبدأ بالحياة الأبدية بإذن الله تعالى، إما منعمّاً أو معذّباً، حيث يبدأ بنفخ الصور الثاني والبعث من القبور، والحشر ليوم النشور، والعرض على الله، للحساب الأكبر، والجزاء الأوفى: من الخلود في النعيم والجنة، أو العذاب والنار والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[2].

وقال تبارك اسمه: ﴿**اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً**﴾[3].

---

(١) الكافي: ج٧ ص٥٧ باب ما يلحق الميت بعد موته ح٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٣) سورة النساء: ٨٧.

وقال عز وجل: ﴿**أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاّ مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ (٢).

وروي عن الامام السجاد عليه السلام في وصف يوم القيامة وكيفيته في معنى قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاّ مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ عندما سُئل عليه السلام عن النفختين كم بينهما؟

قال عليه السلام: «ما شاء الله»، فقيل له: فأخبرني يا ابن رسول الله، كيف ينفخ فيه؟

فقال: «أما النفخة الأولى، فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض.

---

(١) سورة القصص: ٦١ـ ٦٢.

(٢) سورة الزمر: ٦٧ـ ٦٨.

قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور، قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوه أهل الأرض، قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة، فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات، فلا يبقى في السماوات ذو روح إلاّ صعق ومات، إلاّ إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مُت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله: ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً**﴾ [1] يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات، كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة، مستقلاً بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ [2] فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار مجيبا

---

(١) سورة الطور: ٩ـ ١٠.

(٢) سورة غافر: ١٦.

لنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [1] وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا، وحدي لا شريك لي ولا وزير لي، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمتهم بمشيتي، وأنا أحييهم بقدرتي، قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور، فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد إلاّ حيي، وقام كما كان، ويعود حملة العرش، وتحضر الجنة والنار، وتحشر الخلائق للحساب»، قال ـ الراوي ـ : فرأيت علي بن الحسين عليه السلام يبكي عند ذلك بكاءً شديداً [2].

(١) سورة غافر: ١٦.

(٢) تفسير القمي: ج٢ ص٢٥٢ سورة الزمر ضمن ح٣٩.

من خصائص يوم القيامة

هناك خصوصيات عيجبة وكثيرة ليوم القيامة، وهو اليوم الذي يحشر الله تعالى فيه الأولين والآخرين للحساب الاكبر، والجزاء الأوفى، وهذه الخصوصيات تميّزه ميزة غريبة عن سائر الأيام، وتجعله يوماً وحيداً في عجائبه، وفريداً في غرائبه:

إنه يوم خاصّ متميّز، خاص في طوله زمناً؛ إذ يمتد طول يوم القيامة بمقدار خمسين ألف عام، فيه خمسون موقفاً وعقبةً للتحقيق والاستجواب، مدة كل موقف ألف عام..

إنه يوم متميز في أهواله؛ إذ فيه تتكوّر الشمس، وتلتقي الشمس القمر، وتنكدر النجوم، وتندك الأرض والجبال دكة واحدة، وتُزلزل الأرض زلزالاً شديداً، وكما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾[1].

وقوله تبارك اسمه: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً ۞ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي**

---

(١) سورة الحج: ١ـ ٢.

تُؤْوِيهِ۞ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ۞ كَلا إِنَّهَا لَظَى۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [1].

إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي تبين أهوال يوم القيامة.

يوم القيامة ومنجياتها

إن يوم القيامة يوم رهيب، ويوم صعب عسير، لأنه يوم الحساب الأكبر، والجزاء الأوفى، يوم لا يقبل فيه فداء ولا عذر، وهو الذي عبرّ عنه القرآن الكريم بقوله: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** [2].

وهو يوم تُعرض فيه الاعمال، وتكشف فيه الأسرار والأستار.

وهو: **﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** [3] أي نقيّ من الشرك، خالص من الرياء، مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبأهل بيته عليهم السلام، آخذ بما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبلّغ له أهل بيته المعصومون عليهم السلام..

فإن الفائز يوم القيامة هو من قال عزوجل: **﴿لِمَن تَابَ وَآمَنَ**

---

(١) سورة المعارج: ١ـ ١٨.

(٢) سورة عبس: ٣٤ـ ٣٧.

(٣) سورة الشعراء: ٨٨ـ ٨٩.

وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [1] أي إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام. ومن صبر وصابر ورابط في محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام. ومن أدى الواجبات وانتهى عن المحرمات، وتخلّق بالاخلاق الحسنة والآداب الاسلامية. ومن كان براً تقياً، سمحاً سخياً، قد سلُم الناس من يده ولسانه، وأمنوه على أعراضهم وأموالهم. ومن كان قد سعى لآخرته، وعمل في الدنيا من أجل عاقبته، وجاهد نفسه، وخالف هواه، وحارب شيطانه، ولم يغتر بدنياه. فإن من كان تقياً نقياً، خالصاً مخلصاً في الدنيا، اجتاز عرصات القيامة إلى الجنة من دون حساب، وخرج من قبره ونور إيمانه يسعى بين يديه لينير له ظلام القيامة وظلماتها، فيصل إلى الجنة بسلام وأمان، كما قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [2].

وكما قال سبحانه عن غير المؤمنين: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**﴾ [3] أي: ارجعوا إلى الدنيا لتأتوا بالنور منها

---

(١) سورة طه: ٨٢.

(٢) سورة الحديد: ١٢.

(٣) سورة الحديد: ١٣.

معكم، كناية عن أنه يستحيل حصول النور في الآخرة الاّ لمن كان قد أتى به من الدنيا، وحيث لا رجعة فلا نور.

وروي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم**﴾ (١) قال عليه السلام: «رسول الله صلى الله عليه وآله هو نور المؤمنين يسعى بين أيديهم يوم القيامة، إذا أذن الله له أن يأتي منزله في جنات عدن، والمؤمنون يتبعونه وهو صلى الله عليه وآله يسعى بين أيديهم حتى يدخل جنة عدن وهم يتبعون حتى يدخلون معه، وأما قوله: ﴿وَبِأَيْمَانِهِم﴾ فأنتم تأخذون بحجزة آل محمد عليهم السلام، ويأخذ آل محمد عليهم السلام بحجزة الحسن والحسين عليهما السلام، ويأخذ أمير المؤمنين عليه السلام بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يدخلون مع رسول الله صلى الله عليه وآله في جنة عدن، فذلك قوله: ﴿**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (٢)» (٣).

وعن علي بن عقبة عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا عقبة، لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الأمر الذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه إلى هذه»

---

(١) سورة الحديد: ١٢.

(٢) سورة الحديد: ١٢.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص٤٦٧ من سورة الحديد ح٦١١.

ثم أهوى بيده إلى الوريد ثم اتكأ، وكان معي المعلّى، فغمزني أن أسأله، فقلت: يا ابن رسول الله، فإذا بلغت نفسه هذه أي شيء يرى؟

فقلت له بضع عشرة مرة: أي شيء؟ فقال عليه السلام في كلها: «يرى» ولا يزيد عليها، ثم جلس في آخرها، فقال: «يا عقبة» فقلت: لبيك وسعديك. فقال: «أبيت إلاّ أن تعلم؟!». فقلت: نعم، يا ابن رسول الله، إنما ديني مع دينك، فإذا ذهب ديني كان ذلك، كيف لي بك يا ابن رسول الله، كل ساعة. وبكيت، فرقّ لي، فقال: «يراهما والله».

فقلت: بأبي وأمي من هما؟! قال: «ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.. يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى تراهما». قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن، أيرجع إلى الدنيا؟ فقال: «لا، يمضي أمامه، إذا نظر إليهما مضى أمامه» فقلت له: يقولان شيئاً؟ قال: «نعم يدخلان جميعا على المؤمن، فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه وعلي عليه السلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: يا ولي الله، أبشر أنا رسول الله، إني خير لك مما تركت من الدنيا، ثم ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم علي عليه السلام حتى يكب عليه فيقول: يا ولي الله، أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه أما لأنفعنك، ثم قال: إن هذا في كتاب الله عز وجل».

قلت: أين جعلني الله فداك هذا من كتاب الله؟

قال: «في يونس قول الله عز وجل هاهنا: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ**

لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [1] » [2].

المصير والمأوى: الجنة أو النار

ثم إنه بعد انتهاء الحساب وانقضاء يوم القيامة، وانتهاء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام من تقسيم أهل المحشر بإذن الله تعالى وسَوق أهل النار إلى النار، وهداية أهل الجنة إلى الجنة، تغلق أبواب النار على أهلها، وأبواب الجنة على أهلها، ويؤتى ـ كما في الخبر ـ بالموت على صورة كبش ويُذبح، ثم يُعلن بعد ذلك: بأنه لا موت لأحد، فأهل الجنة خالدون في الجنة، وأهل النار ـ والعياذ بالله ـ مخلدون في النار..

وعندما يصل هذا الخبر إلى كل من أهل الجنة وأهل النار، يفرح أهل الجنة فرحاً كبيراً، بحيث لو كان هناك موت لماتوا فرحاً، ويحزن أهل النار حزناً شديداً بحيث لو كان هناك موت لماتوا جزعاً وفزعاً.

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، و أهل النار النار، جيء بالموت في صورة كبش حتى يوقف بين الجنة و النار ـ قال ـ ثم ينادي مناد يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل

---

(١) سورة يونس: ٦٣ـ ٦٤.

(٢) الكافي: ج٣ ص١٢٨ باب ما يعاين المؤمن والكافر ح١.

الجنة، يا أهل النار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الذي كنتم تخافون منه في الدنيا. قال: فيقول أهل الجنة: اللهم، لا تدخل الموت علينا، قال: ويقول أهل النار: اللهم أدخل الموت علينا. قال: ثم يذبح كما تذبح الشاة، قال: ثم ينادي مناد: لا موت أبداً، أيقنوا بالخلود. قال: فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا، قال: ثم قرأ هذه الآية ـ **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ۞ إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۞ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾** [1] قال: ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا، وهو قول الله عز و جل: **﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾** [2] ».[3]

يقول الباري عزوجل: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** [4].

ويقول جل جلاله: **﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [5].

---

(١) سورة الصافات: ٥٨ـ ٦١.

(٢) سورة مريم: ٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٨ ص٣٤٥ ب٢٦ ح٢.

(٤) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٨٥.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما خلق الله خلقاً إلاّ جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا أسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، أشرفوا، فيشرفون على النار، ويرفع لهم منازلهم في النار، ثم يقال لهم: هذه منازلكم التي لو عصيتم ربكم دخلتموها، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ذلك اليوم فرحاً بما صرف عنهم من العذاب، ثم ينادون: يا معاشر أهل النار، ارفعوا رءوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنة، فيرفعون رءوسهم فينظرون إلى منازلهم وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم دخلتموها. قال: فلو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك أهل النار، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، وهؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [1] » [2].

نعم، الدنيا دار غرور، فهنيئاً لمن لم يغتر بها، ويسعى فيها للمجتمع الإسلامي الصالح، ويسعى فيها لآخرته، ويستغل فرصة العمر للعمل من أجل توفير النور لقبره وقيامته، وإعداد الدعة والراحة لبرزخه حتى يفوزر يوم القيامة بالخلد في الجنة ونعيمها.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠ـ ١١.

(٢) ثواب الأعمال: ص٢٥٨ عقاب من ابتدع ديناً.

إنه يلزم على المسلمين جميعاً تهيئة الأمور والأسباب من أجل إعادة المجتمع الإسلامي الصالح الذي يفوز الفرد فيه بسعادة الدارين، وبرضا الباري عزوجل ورضا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الميامين عليهم السلام .. وذلك عبر استغلال الفرص، والإخلاص في العمل، والصفاء في النية، والتركيز على القواعد والأركان الأساسية في المجتمع لهدايته، وترك الأمور الهامشية التي تحاول أن تبعّد الإنسان عن هذا الطريق.

وإن شاء الله تعالى، يتوجه المسلمون إلى أنفسهم ويوفرون في ذواتهم ومجتمعاتهم الاستعداد اللازم للمسير في طريق التقدم والازدهار في هذه الحياة وتطبيق الأوامر الإلهية السمحاء، للفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة، كما يلزم السعي في إقامة حكومة واحدة عالمية لكل المسلمين في العالم.

وأخيراً نسأل الله سبحانه وتعالى أن يطهر قلوبنا وينقي أرواحنا، ويملأها حباً له، وخشية منه، وتصديقاً به، وعملاً بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أهل بيت رسوله عليهم السلام وأوليائه الصالحين.

«اللهم، املأ قلبي حبّاً لك، وخشية منك، وتصديقاً وايماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً اليك، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم حبّب إليّ لقائك، واجعل في لقائك خير الرحمة والبركة، وألحقني بالصالحين، ولاتؤخرني مع الأشرار، وألحقني بصالح من مضى، واجعلني مع صالح من بقي، وخُذ بي سبيل الصالحين، وأعني على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم، ولاتردني في سوء استنقذتني منه يارب

العالمين»[1].

من هدي القرآن الحكيم

عالم الذر والأصلاب:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[2].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ**

---

(١) الكافي: ج٢ ص٥٨٥ باب دعوات موجزات في جميع الحوائج.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

(٤) سورة الطارق: ٥ ـ ٨.

سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [1].

عالم الأرحام:

قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [2]

.

وقال سبحانه: ﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [3].

وقال عز وجل: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ [4].

وقال جل وعلا: ﴿**وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ**﴾ [5].

وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ**

---

(١) سورة الدهر: ١ـ ٢.

(٢) سورة آل عمران: ٦.

(٣) سورة الرعد: ٨.

(٤) سورة الحج: ٥.

(٥) سورة لقمان: ٣٤ .

جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾ (١).

عالم الدنيا:

قال الله تعالى: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** (٢).

وقال سبحانه: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** (٣).

وقال عز وجل: **﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ**

---

(١) المؤمنون: ١٢ـ ١٤.

(٢) سورة الأنعام: ٣٢.

(٣) سورة الحديد: ٢٠.

وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [1].

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾** [2].

وقال سبحانه: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾** [3].

وقال جل اسمه: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [4].

خاتمة عالم الدنيا:

قال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾** [5].

وقال سبحانه: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [6].

وقال تبارك اسمه: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ**

---

(١) سورة يونس: ٢٤ـ ٢٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٢.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٤) سورة البقرة: ٢٩.

(٥) سورة الزمر: ٣٠.

(٦) سورة آل عمران: ١٨٥.

مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [1].

عالم البرزخ

قول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [2].

وقوله عز وجل: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾ [3]

وقوله سبحانه: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [4].

عالم الآخرة

قال الله سبحانه: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [5].

وقال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ**

---

(١) سورة الجمعة: ٨.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٥) سورة العنكبوت: ٦٤.

وَأَبْقَى﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿**وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى**﴾ [2].

وقال جل وعلا: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً**﴾ [3].

---

(١) سورة الأعلى: ١٦ـ ١٧.

(٢) سورة الضحى: ٤.

(٣) سورة الأسراء: ١٩.

من هدي السنة المطهرة

عالم الذر والأصلاب

قال الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جدّه (صلوات الله عليهم أجمعين): «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. قال: ومحمد رسولي؟ قالوا: بلى. قال: وعلي بن أبي طالب وصيي؟ فأبى الخلق جميعاً إلاّ استكباراً وعتواً من ولايتك إلاّ نفر قليل، وهم أقل القليل، وهم أصحاب اليمين»[1].

وعن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**﴾[2] ؟ فقال: «المخلَّقة، هم الذر الذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام أخذ عليهم الميثاق، ثم أجراهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وهم الذين يخرجون إلى الدنيا حتى يسألوا عن الميثاق، وأما قوله: ﴿**وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**﴾ فهم كل نسمة لم يخلقهم الله في صلب آدم عليه السلام حين خلق الذر، وأخذ عليهم الميثاق،

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٢٣٢ المجلس ٩ ح٤١٢.

(٢) سورة الحج: ٥.

وهم النطف من العزل والسقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالبٍ »عليهما السلام[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «سُئل النبي صلى الله عليه وآله أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عزوجل ينقلني في الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، هادياً مهدياً، حتى أخذ الله بالنبوة عهدي وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري ورقاني إلى سمائه، وشق لي إسماً من أسمائه الحسنى، أمتي الحمادون، فذو

---

(١) الكافي: ج٦ ص١٢ باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه ح١.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٤١ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته ح٩.

العرش محمود وأنا محمد»[1].

وعن الحسين بن نعيمٍ الصحاف قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**﴾[2]؟ فقال: «عرف الله عز وجل إيمانهم بموالاتنا وكفرهم بها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذر في صلب آدم»، وسألته عن قوله عز وجل: ﴿**أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾[3]؟ فقال: «أما والله، ما هلك من كان قبلكم وما هلك من هلك حتى يقوم قائمنا عليه السلام إلاّ في ترك ولايتنا وجحود حقنا، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا حتى ألزم رقاب هذه الأمة حقنا، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ»[4].

عالم الأرحام:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة التي مما أخذ عليها الميثاق في صلب آدم، أو ما يبدو له فيه، ويجعلها في الرحم، حرّك الرجل للجماع، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦٢٤ المجلس ٩١ ح١.

(٢) سورة التغابن: ٢.

(٣) سورة المائدة: ٩٢.

(٤) الكافي: ج١ ص٤٢٦ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح٧٤.

النطفة إلى الرحم، فتردد فيه أربعين يوماً، ثم تصير علقةً أربعين يوماً، ثم تصير مضغةً أربعين يوماً، ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة، ثم يبعث الله ملكين خلاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله، فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما في البطن، بإذن الله، ثم يوحي الله إلى الملكين: اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترطا لي البداء فيما تكتبان، فيقولان: يا رب، ما نكتب؟ فيوحي الله إليهما: أن ارفعا رءوسكما إلى رأس أمه، فيرفعان رءوسهما، فإذا اللوح يقرع جبهة أمه، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه، شقياً أو سعيداً وجميع شأنه ـ قال ـ فيملي أحدهما على صاحبه، فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه، ثم يقيمانه قائماً في بطن أمه ـ قال ـ فربما عتا فانقلب، ولا يكون ذلك إلا في كل عات أو مارد، وإذا بلغ أوان خروج الولد تاماً، أو غير تام، أوحى الله عز وجل إلى الرحم: أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي، وينفذ فيه أمري، فقد بلغ أوان خروجه. ـ قال ـ فيفتح الرحم باب الولد فيبعث الله إليه ملكاً يقال له: زاجر فيزجره زجرةً، فيفزع منها الولد، فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن؛ ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج ـ قال ـ فإذا احتبس زجره الملك زجرةً

أخرى، فيفزع منها، فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة»[1].

وعن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخلق؟ قال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى، لما خلق الخلق من طين، أفاض بها كإفاضة القداح، فأخرج المسلم فجعله سعيداً، وجعل الكافر شقياً، فإذا وقعت النطفة تلقتها الملائكة فصوروها، ثم قالوا: يا رب، أذكراً أو أنثى؟ فيقول الرب جل جلاله أي ذلك شاء، فيقولان: تبارك الله أحسن الخالقين، ثم توضع في بطنها، فتردد تسعة أيام في كل عرق ومفصل، ومنها للرحم ثلاثة أقفال: قفل في أعلاها مما يلي أعلى الصرة من الجانب الأيمن، والقفل الآخر وسطها، والقفل الآخر أسفل من الرحم، فيوضع بعد تسعة أيام في القفل الأعلى، فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس والتهوع، ثم ينزل إلى القفل الأوسط، فيمكث فيه ثلاثة أشهر وصرة الصبي فيها مجمع العروق، وعروق المرأة كلها منها يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق، ثم ينزل إلى القفل الأسفل، فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فذلك تسعة أشهر، ثم تطلق المرأة، فكلما طلقت انقطع عرق من صرة الصبي، فأصابها ذلك الوجع، ويده على صرته، حتى يقع إلى الأرض ويده مبسوطة، فيكون

---

(١) الكافي: ج٦ ص١٣ باب بدء خلق الانسان وتقلبه في بطن أمه ح٤.

رزقه حينئذ من فيه»[1].

فرصة العمر

قال رسول الله ﷺ: «.. والله، ما يساوي ما مضى من دنياكم هذه بأهداب[2] بردي هذا، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء، وكل إلى بقاء وشيك وزوال قريب، فبادروا العمل وانتم في مهل الأنفاس وجدة الاحلاس[3] قبل أن تأخذوا بالكظم[4] فلا ينفع الندم»[5].

وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرصة تمر مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير»[6].

وقال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «إبن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ ممّا في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع ـ وكان يتلو مع هذه الموعظة: ـ ﴿**وَتَزَوَّدُواْ**

---

(١) الكافي: ج٦ ص١٥ باب بدء خلق الانسان وتقلبه في بطن أمه ح٥.

(٢) الأهداب: جمع هدب، وهو خجل الثوب وطرته.

(٣) جدّة الثوب: كونه جديداً، والأحلاس جمع حلس: ما يوضع على ظهر الفرس تحت السرج.

(٤) الكظم: مخرج النفس.

(٥) إعلام الدين: ص٣٤١ ضمن ح٢٨.

(٦) نهج البلاغة، قصارى الحكم: ٢١.

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [1] » [2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «بادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، ولا إمكان كالأيّام الخالية مع صحة الأبدان ..»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «..من انتظر بمعاجلة الفرصة مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته؛ لأن من شأن الأيام السلب، وسبيل الزمن الفوت»[4].

حب الدنيا والاغترار بها

فيما أوصى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «إعلم إن كل فتنةٍ بذرها حبّ الدنيا»[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حب الدنيا أصل كل معصية وأوّل كل ذنب»[6].

وفي حديث المعراج: «... لو صلّى العبد صلاة أهل السماء

---

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) إعلام الدين: ص٢٩٧ من كلام الإمام الزكي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

(٣) تحف العقول: ص٢٨٦ من ضمن وصيته عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٥ ص ٢٦٨ ب٢٣ مواعظ الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٧ ب٦١ ضمن ح١٣٤٤٨.

(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٢٢ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والأرض، وصام صيام أهل السماء والأرض، وطوى من الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العاري، ثمّ أرى في قلبه من حب الدنيا ذرّة أو سمعتها، أو رئاستها، أو حليّتها، أو زينتها، لا يجاورني في داري ولأنزعنّ من قلبه محبّتي»[1].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «..ما من عمل بعد معرفة الله جلّ وعزّ، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا.. فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلوّ والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهنّ في حب الدنيا، فقال الأنبياء عليهم السلام والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة»[2].

عالم البرزخ

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً، سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون وضماراً

(١) إرشاد القلوب: ج١ ص٢٠٦ ب ٥٤ فيما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله ربه ليلة المعراج.

(٢) الكافي: ج٢ ص ١٣٠ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح١١.

لايوجدون»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من موضع قبرٍ إلاّ وهو ينطق كل يومٍ ثلاث مراتٍ: أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدود. ـ قال ـ فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، فسترى ذلك. ـ قال ـ فيفسح له مد البصر، ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة، ـ قال ـ ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قط أحسن منه، فيقول: يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك!! فيقول: أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه، وعملك الصالح الذي كنت تعمله. ـ قال ـ ثم تؤخذ روحه، فتوضع في الجنة حيث رأى منزله، ثم يقال له: نم قرير العين، فلا يزال نفحة من الجنة تصيب جسده، يجد لذتها وطيبها حتى يبعث. قال: وإذا دخل الكافر قال: لا مرحباً بك ولا أهلاً. أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، سترى ذلك. قال: فتضم عليه فتجعله رميماً، ويعاد كما كان، ويفتح له باب إلى النار، فيرى مقعده من النار. ثم قال: ثم إنه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط، قال: فيقول: يا عبد الله، من أنت!! ما رأيت شيئاً أقبح منك؟ قال: فيقول:

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٢٢١ من كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾.

أنا عملك السيء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث. قال: ثم تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثم لم تزل نفخة من النار تصيب جسده، فيجد ألمها وحرّها في جسده إلى يوم يبعث، ويسلّط الله على روحه تسعةً وتسعين تنيناً تنهشه، ليس فيها تنين ينفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئاً»[1].

وعن عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سمعتك وأنت تقول: «كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم».

قال: «صدقتك كلهم والله في الجنة».

قال: قلت: جعلت فداك، إن الذنوب كثيرة كبار؟!

فقال: «أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع صلى الله عليه وآله أو وصي النبي عليه السلام ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ».

قلت: وما البرزخ؟

قال: «القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»[2].

ما ينفع للدنيا والبرزخ والآخرة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في أبلغ الوصايا لجميع الدنيا والآخرة: «من

---

(١) الكافي: ج٣ ص٢٤١ باب ما ينطق به موضع القبر ح١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٢٤٢ باب ما ينطق به موضع القبر ح٣.

الوالد الفان، المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدنيا، الساكن مساكن الموتى، والظاعن عنها غداً، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونصب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات.

أما بعد، فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني، وجموح الدهر علي، وإقبال الآخرة إلي، ما يزعني عن ذكر من سواي، والاهتمام بما ورائي، غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي، فصدفني رأيي وصرفني عن هواي وصرح لي محض أمري، فأفضى بي إلى جد لايكون فيه لعب، وصدق لا يشوبه كذب، ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي. فكتبت إليك كتابي مستظهراً به إن أنا بقيت لك أو فنيت، فإني أوصيك بتقوى الله، أي بني، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به. أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما

فعلوا، وعما انتقلوا، وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلوا ديار الغربة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته؛ فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال، وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعوّد نفسك التصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبر في الحق، وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز، وأخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة، وتفهم وصيتي، ولا تذهبن عنك صفحاً؛ فإن خير القول ما نفع. واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولاينتفع بعلم لا يحق تعلمه.

أي بني، إني لما رأيتني قد بلغت سناً ورأيتني أزداد وهناً، بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي، أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا، فتكون كالصعب النفور، وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت

مئونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه.

أي بني، إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة، ونفس صافية. وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم، مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك، وأن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيتي هذه.

واعلم يا بني، أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله، والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ

بما عرفوا، والإمساك عما لم يكلفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم، لا بتورط الشبهات وعلق الخصومات، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك، والرغبة إليه في توفيقك، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة، فإن أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، وكان همك في ذلك هماً واحداً، فانظر فيما فسرت لك، وإن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك، وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء، وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خبط أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل.

فتفهم يا بني وصيتي، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هو المميت، وأن المفني هو المعيد، وأن المبتلي هو المعافي، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد، أو ما شاء مما لا تعلم. فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك، فإنك أول ما خلقت به جاهلا، ثم علمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك، ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك، وليكن له تعبدك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك.

واعلم يا بني، أن أحداً لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول ﷺ فارض به رائداً، وإلى النجاة قائداً، فإني لم آلك نصيحة، وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك.

واعلم يا بني، أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً ولم يزل، أولٌ قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية، عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله، في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته إلى ربه، في طلب طاعته والخشية من عقوبته والشفقة من سخطه؛ فإنه لم يأمرك إلاّ بحسن، ولم ينهك إلاّ عن قبيح.

يا بني، إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أعدّ لأهلها فيها، وضربت لك فيهما الأمثال؛ لتعتبر بها وتحذو عليها، إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر، نبا بهم منزل جديب، فأموا منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً، فاحتملوا وعثاء الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر، وجشوبة المطعم؛ ليأتوا سعة دارهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً، ولا يرون نفقةً فيه مغرماً، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم وأدناهم من محلتهم، ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب، فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم، ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه.

يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تَظلم كما لا تحب أن تُظلم،

وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك. ولا تقل ما لا تعلم، وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يُقال لك. واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب، فاسع في كدحك، ولا تكن خازناً لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك. واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وأنه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك؛ فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة، فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه، وحمّله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلّك تطلبه فلا تجده، واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

واعلم أن أمامك عقبةً كئوداً، المخف فيها أحسن حالاً من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالاً من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة، إما على جنة أو على نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعتب، ولا إلى الدنيا منصرف.

واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة،

ولم يعيرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنةً، وحسب سيئتك واحدةً وحسب حسنتك عشراً، وفتح لك باب المتاب، وباب الاستعتاب، فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار، وصحة الأبدان وسعة الأرزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة؛ ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرُبّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفي عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له.

واعلم يا بني، أنك إنما خُلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في قلعة ودار بلغة وطريق إلى الآخرة، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا يفوته طالبه، ولابد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد

أهلكت نفسك.

يا بني، أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتةً فيبهرك.

وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعت هي لك عن نفسها، وتكشفت لك عن مساويها، فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهر بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها، نعم معقلة، وأخرى مهملة، قد أضلت عقولها، وركبت مجهولها، سروح عاهة بواد وعث، ليس لها راع يقيمها، ولا مسيم يسيمها، سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً، فلعبت بهم ولعبوا بها، ونسوا ما وراءها. رويداً يسفر الظلام كأن قد وردت الأظعان، يوشك من أسرع أن يلحق.

واعلم يا بني، أن من كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً. واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في سبيل من كان قبلك، فخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب، فإنه ربّ طلب قد جر إلى حرب، وليس كل طالب بمرزوق، ولا كل مجمل بمحروم، وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب؛ فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك

عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً، وما خيرُ خيرٍ لا ينال إلاّ بشر، ويسرٍ لا ينال إلا بعسر.

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل؛ فإنك مدرك قسمك وآخذ سهمك، وإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه، وإن كان كل منه. وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك، وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء. وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور، والمرء أحفظ لسرّه، وربّ ساع فيما يضره، من أكثر أهجر، ومن تفكر أبصر، قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم، بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف أفحش الظلم، إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً، ربما كان الدواء داءً والداء دواءً، وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح.

وإياك والاتكال على المنى؛ فإنها بضائع النوكى، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك، بادر الفرصة قبل أن تكون غصةً، ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يئوب، ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد، ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قدر لك، التاجر مخاطر، ورب يسير أنمى من كثير، لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين، ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده، ولا تخاطر بشيء رجاء

أكثر منه، وإياك أن تجمح بك مطية اللجاج. احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتى كأنك له عبد، وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله. لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك، وامحض أخاك النصيحة حسنةً كانت أو قبيحةً، وتجرع الغيظ فإني لم أر جرعةً أحلى منها عاقبةً، ولا ألذ مغبةً. ولن لمن غالظك؛ فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوك بالفضل؛ فإنه أحلى الظفرين، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيةً يرجع إليها، إن بدا له ذلك يوماً ما. ومن ظن بك خيراً فصدّق ظنه، ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه؛ فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك، ولا ترغبن فيمن زهد عنك، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك؛ فإنه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

واعلم يا بني، أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك، ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، وإن كنت جازعاً على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك، استدل على ما لم يكن بما

قد كان؛ فإن الأمور أشباه. ولا تكونن ممن لاتنفعه العظة إلاّ إذا بالغت في إيلامه؛ فإن العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلاّ بالضرب. اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين، من ترك القصد جار، والصاحب مناسب، والصديق من صدق غيبه، والهوى شريك العمى. وربّ بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد، والغريب من لم يكن له حبيب، من تعدى الحق ضاق مذهبه، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه، ومن لم يبالك فهو عدوك، قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً، ليس كل عورة تظهر، ولا كل فرصة تصاب، وربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمى رشده، أخّر الشر، فإنك إذا شئت تعجلته، وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل، من أمن الزمان خانه، ومن أعظمه أهانه، ليس كل من رمى أصاب، إذا تغير السلطان تغير الزمان، سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك.. استودع الله دينك ودنياك، واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة، والدنيا والآخرة، والسلام»[1].

(١) نهج البلاغة، الكتب: ٣١ من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

زراعة الدنيا للآخرة:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة»[1].

وقال عليه السلام: «ثابروا على صلاح المؤمنين»[2].

وقال عليه السلام: «خير الناس من نفع الناس»[3].

وقال عليه السلام: «إذا رأيت مظلوماً فأعنه على الظالم»[4].

وقال عليه السلام: «فعل المعروف وإغاثة الملهوف وإقراء الضيوف آلةُ السيادة»[5].

وقال عليه السلام أيضاً: «كما تعين تُعان»[6].

---

(١) غررالحكم ودررالكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف١٣ ح١٠٣٤٨ .

(٢) غررالحكم ودررالكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف ١٣ح ١٠٣٥١.

(٣) غررالحكم ودررالكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف١٣ ح ١٠٣٥٢.

(٤) غررالحكم ودررالكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف١٣ ح ١٠٣٦٤.

(٥) غررالحكم ودررالكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف١٣ ح١٠٣٥٨.

(٦) غررالحكم ودررالكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف١٣ ح١٠٣٤٦.

الفهرس

كلمة الناشر ١
الأمم وما تكتسبه ٨
نماذج من القادة الصالحين ١٣
الشيخ الكليني رحمه الله ١٤
الشيخ الصدوق رحمه الله ١٨
الشيخ الطوسي رحمه الله ٢٢
الشيخ الأنصاري رحمه الله ٢٤
حصيلة عمر العظماء ٢٨
ما هو المطلوب منا؟ ٣٥
العوالم التي نمر بها ٣٨
١: عالم الذر ٣٩
٢: عالم الأرحام ٤٥
وصايا وآداب عن الأئمة عليهم السلام ٤٨
٣: عالم الدنيا ٥٦
العاقل وتعامله مع الدنيا ٥٩
الجمع بين الدنيا والآخرة ٦٠
نماذج ثقافية ٦٤
عبر وعظات ٦٧
مثال جميل ٧٠

٤: عالم البرزخ..... ٧٨
البرزخ وأول مراحله..... ٨١
مخاوف عالم البرزخ..... ٨٢
هل في عالم البرزخ تكامل؟..... ٨٣
٥: عالم الآخرة..... ٨٧
من خصائص يوم القيامة..... ٩١
يوم القيامة ومنجياتها..... ٩٢
المصير والمأوى: الجنة أو النار..... ٩٦
من هدي القرآن الحكيم..... ١٠٠
من هدي السنة المطهرة..... ١٠٦
الفهرس..... ١٢٨